أدب ونقد

مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية
أغسطس ٢٠٠٦ - العدد ٢٥٢

الأدب اليمنى: لابد من صنعاء وإن طال السفر

الهلالى: نبيل اليسار المصرى

أمجاد القديس شارون



المقاومة فى خيال الشعب

متى يعلنون وفاة العرب؟

صفيحة يشار كمال التركية

مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية

شهرية يصدرها حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى
تأسست عام١٩٨٤ /السنة الثالثة والعشرون
العدد ٢٥٢ أغسطس ٢٠٠٦



تصميم الغلاف

أحمد السجينى

إخراج فنـــى

عزة عز الديـن

مراجعة لغوية

أبو السعود على

لوحـة الغلاف الأمامـى والخلفى والرسوم الداخلية

للفنـانة اليمنية: **آمنة نصيرى**

الاشتراكات لمدة عام

باسم الأهالى/ مجلة (أدب ونقد): داخل مصر ٥٠ جنيها

البلاد العربية ٥٠ دولارا/ أوروبا وأمريكا ٧٥ دولا

شركة الأمل للطباعة والنشر

الأعمـال الواردة إلى المجلة لا تريد لأصحـابهـا سـواء نشـرت أم لم تنشـر يمكن إرسال الأعمال على العنوان البريدى أو البريد الإلكترونى:

adabwanaq d @yahoo-com

موقع (أدب ونقد) على الانترنت:

adabwanaq d .4t.com

ترجو المجلة من كتابها ألا يزيد عدد صفحات المادة المرسلة عن ثمانى صفحات أو ثلاثة آلاف كلمة

المراسلات: مجلة (أدب ونقد) ١ شارع كريم الدولة/ ميدان طلعت حرب/ الأهالى القاهرة/ هاتف ٥٧٩١٦٢٨/٢٩ فاكس ٥٧٨٤٨٦٧

المحتويات

لابتداع الأمل

حين سألتنى المذيعة إن كان إحساس الشباب بالعجز وقلة الحيلة إزاء العدوان الإسرائيلى الهمجى على كل من فلسطين ولبنان، - والآلام التى يتحملها الشعبان بينما تتفرج الحكومات العربية وحتى الشعوب – إن كان ذلك كله سوف يلعب دوراً سلبيا فى التكوين النفسى لهؤلاء الشباب فى مستقبل الأيام، وما نلبث أن نجد أنفسنا أمام أجيال لحقتها تشوهات غائرة وإزداد فى أوساطها المرض النفسى أو العدمية واللامبالاة واليأس .

ولما كان السؤال متضمنا ما يشابه الإجابة فقد تركت الإجابة معلقة، إذ أن أحدا لا يستطيع أن يجزم لكننى أخذت استدعى انتصارات الشعوب ورحلات العذاب التى قطعتها من أجل تحررها، وطرق الآلام التى مشت فيها تبتكر الأمل فى كل خطوة لتصنع انتصارها فى خاتمة المطاف بعد أن تكون قد دفعت ثمنه دما ودموعا ..عرقا وجهدا ولتضحيات بلا حصر.

أخذت أفتش فى الذاكرة عن تفاصيل رحلتى إلى «ڤيتنام» قبل أعوام قليلة، وكيف أننى تو أن وصلت طلبت من مرافقى زيارة متحف الحرب فى «سايجون» التى أطلقت عليها الحكومة الڤيتنامية بعد التحرير اسم الزعيم الوطنى الشاعر «هوش منة» الذى يكاد الڤيتناميون أن يقدسوه لا فحسب لأنه قاد عملية تأسيس الحزب الشيوعى الڤيتنامي، وقاد حرب التحرير ضد كل من الاحتلال الفرنسى والاحتلال الأمريكي، وإنما أيضا لأنه عاش حياة بالغة

التواضع والبساطة قريبا من الطبيعة رغم إشغاله بتكتيكات الحرب واستراتيجياتها على امتداد العمر، وكتب شعرا يفيض عذوبة وشجنا ومحبة للإنسانية. وحين أصبح رئيسا لجمهورية «فيتنام» الشمالية رفض أن يقيم فى أحد القصور التى كانت مخصصة للحاكم الفرنسى للبلاد، واختار بيتا صغيرا كان مخصصا لحراسة أحد هذه القصور لأنه وجد القصر كبيرا جدا وربما موحشا، وفى بيت الحراسة هذا زارته أخته القادمة من الريف بثيابها البسيطة وحاول الحراس منعها من الدخول إلى أن رآها هو، فلم يكن الزعيم الشعبى العظيم قد انشغل بتكوين ثروات له ولأسرته التى عاشت فى الريف كما كانت وظلت تفلح الأرض وتأكل من عرق جبينها بين الفلاحين دون أن تنسلخ عنهم أو تتعالى عليهم..

وفى المتحف رأيت صورا لا تنسى أخذت أركبها فى خيالى على ما كنا قد شاهدناه عبر شاشات التليفزيون بل وبعض أفلام السينما الأمريكية المناهضة للحرب فى فيتنام أثناء اشتعالها فى ستينيات وسبعينيات القرن الماضى وذلك حين تصاعدت حركة التضامن العالمى مع شعب فيتنام.

وأجدنى الآن كما كنت ساعة الزيارة عاجزة عن أن أجد الكلمات لوصف الهمجية أو ما سماه الروائى «جميل عطية إبراهيم» «بالحالة الهمجية» وهو عنوان روايته الأخيرة بدلالاته المركبة وتركيزة البليغ حيث يتقدم الوحش فى صراعه ضد الإنسان وهو يسعى لهزيمة إنسانيته.

فى مدخل المتحف كانت تربض طائرات ودبابات ومدافع متطورة هى غنائم الحرب التى استولى عليها جيش التحرير الفيتنامى وغالبية مقاتليه هم من الفلاحين الفقراء الذين كان قد جرى تعليمهم وتنظيمهم وتدريبهم على كل من القتال النظامى وحرب العصابات، وكان هؤلاء الفلاحون هم وقود الحرب وأذرعتها، وهم أيضا عماد الحياة المدنية التى تواصلت تحت القصف فكان الزرع والقلع وإدارة المدارس والمستشفيات وكل صور الحياة العامة.. وكانوا قد دخلوا فى تحالف وثيق مع كل من العمال والطبقة الوسطى بغية تحرير البلاد.

كانوا يقودون الحرب ويواصلون الحياة فى مواجهة أعتى جيوش العالم وأحدثها .. هو الجيش الذى كان قبل ربع قرن فقط قد ألقى أول قنبلتين ذريتين على مدينتى «هيروشيما» و«نجازاكى» فى اليابان بعد أن كانت الحرب العالمية قد انتهت واستسلمت كل من اليابان

وألمانيا.

وكان الأمريكيون بهذا العمل الهمجى الذى قتل من جرائه مئات الآلاف وتشوه مثلهم وافتقر إلى المشروعية ولم تكن له ضرورة يرسلون للعالم رسالة تقول:

- إنه العصر الأمريكي، عصر القوة التى لا رادع لها.

تماما كما ترسل إسرائيل الآن بأعمالها فائقة الوحشية فى فلسطين ولبنان رسالة إلى العرب جميعاً تقول فيها:

- إنه العصر الإسرائيلى وعليكم أن تقبلوا بشروطه صاغرين .. تقبلوا باحتلال أراضيكم وتمزيقها، وتهديم مدنكم وقراكم إذا رفعتم رءوسكم تقبلوا بانتهاك سيادتكم وتمريغ أنوفكم فى التراب فلا يحق لكم أن تتأوهوا أو تحتجوا أو ترفعوا رءوسكم وهى رسالة طالما تلقتها الشعوب من المحتلين والطغاة وردت عليها حتى وإن تأخر الرد.

فقد علمنا التاريخ أنه ما ضاع حق وراؤه مطالب، وأن أصحاب القضية العادلة حتى لو كانوا ضعفاء فى مواجهة القوة الغاشمة ما أن ينظموا صفوفهم ويدافعوا عن قضيتهم تملؤهم روح التضحية والفداء وعدم الخوف من العدو إلا وينصفهم التاريخ ولو بعد حين.

وهذا هو بالضبط ما حدث مع الاستعمار الاستيطانى الفرنسى الذى دام فى الجزائر مائة وثلاثين عاما وخرج مدحورا بُعد مقاومة شعبية باسلة لم يبخل فيها الشعب بشىء من أجل حريته.

وبعد ثلاثين عاما من إسقاط القنبلتين الذريتين على المدينتين اليابانيتين كان أقوى جيش فى العالم يتلقى هزيمة موجعة فى ڤيتنام ويخرج منها مجللا بالعار.

وسوف يبقى محفورا فى ذاكرة البشرية مشهد الجنود الأمريكيين وهم يتسلقون فى هلع سطح مبنى السفارة الأمريكية فى «سايجون» لتلتقطهم طائرات الهيلوكبتر كفئران مذعورة تلاحقهم قوات جيش التحرير الڤيتامى وهم يهربون..

كان هذا المشهد واحدا من علامات التاريخ الكبرى فى القرن العشرين التى تقول إنه بوسع الأقل قدرة أن ينتصر على الأقوي، وأن حسابات القوة المادية وحدها ليست هى الحاسمة، وبوسع الشعوب أن تضيف إلى هذه الحسابات قوة إرادتها وتصميمها وروحها المعنوية ويقينها بالنصر.

صحيح أن جبهة التحرير الوطنى الڤيتنامية كانت قد توفرت لها ظروف دولية مواتية. كان

الاتحاد السوفيتي ما يزال موجودا، ومازال سياسته الخارجية بل والداخلية داعمة لحق الشعوب فى تقرير مصيرها، مساندة لكل حركات التحرر الوطنى فى العالم، ولا ننسى هنا أن الإنذار السوفيتى للدول المعتدية على مصر بعد تأميم «جمال عبد الناصر» للشركة العالمية لقناة السويس البحرية لتصبح شركة مساهمة مصرية قبل نصف قرن إن هذا الإنذار كان عنصرا فاعلا وأساسيا فى إنهاء العدوان الثلاثى على مصر وانسحاب إسرائيل صاغرة من سيناء التى كانت قد احتلتها للمرة الأولى بعد اغتصاب فلسطين.

والآن فإن موازين القوى العالمية قد اختلت بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، وانغماس الصين فى مصالحها والتخلى واقعيا عن حركات التحرر الوطنى التى سقطت خاصة فى منطقتنا بين سندان الإمبريالية والصهيونية من جهة ومطرقة النظم التابعة لهما من جهة أخرى والتى أدى استبدادها إلى خنق الحركة الجماهيرية وتفاقم اليأس والإحباط فى أوساط الشباب الذى تزلزله قلة الحيلة والشعور بعدم الجدوى والانسحاق أمام العدو.

أعاد سؤال المذيعة إلى ذاكرتى تفاصيل مناقشاتى مع شباب «ڤيتنام» الجديد، شباب ما بعد الانتصار ومعظمهم لم يكن قد خرج من الطفولة فى أوج هذه الحرب، لكننى وجدتهم يعرفون جيدا أن الأمريكيين خرجوا مدحورين، وأن وحدة شمالى البلاد مع جنوبها تمت فور التحرير وتحولت «سايجون» عاصمة الجنوب إلى «هوش منة» ويعرفون أيضا أن الإمبريالية الأمريكية ماتزال قوية جدا وأن بلادهم لم تتوقف عن مواجهتها وإن اتخذت هذه المواجهة شكلا جديدا وسليما عبر التنمية الاقتصادية والاجتماعية المتواصلة مع الحفاظ على طابع التوجه الاشتراكى يلهمهم شعار كان قد أطلقه الزعيم الصينى «ماوتسي تونج» أثناء الثورة الثقافية يقول الشعار:

– من الأفضل أن نسير ببطء نحو الاشتراكية من أن نسير بسرعة نحو الرأسمالية.

وإن وجدت أن هؤلاء الشباب رغم تضامنهم المطلق مع الشعوب العربية فى مواجهة العدوان الإمبريالى – الصهيونى وذلك طبقا لتوجهات الحزب والدولة إلا أن معلوماتهم عن الصراع ناقصة ومبتورة، ولكن ما أن كنا نتناقش وأسوق لهم معلومات عن همجية إسرائيل واحتقارها للشرعية الدولية وللحياة الإنسانية ذاتها إلا ويبدون استعدادا كبيرا جدا ويطلقون الأفكار لتعظيم تضامنهم خاصة مع الفلسطينيين.

ربما كان تسييس الشباب إذن هو خطوة أولى لحمايتهم من الشعور بالعجز والإحباط،

وفتح الأبواب أمامهم عبر الوعى الجديد ليكونوا جزءاً من الحركة العالمية المناهضة للعولمة التى تضع تحرير فلسطين وإنشاء دولة مستقلة لشعبها على أرضه فى القلب من أولوياتها.

تعرف الحركة العالمية المناهضة للعولمة طبيعة العلاقات الجدلية بين كل من الإمبريالية والعنصرية والاستغلال وهو ما يحتاج إلى وعى جديد ورؤية جديدة للعالم.

إن ما يضرب فلسطين ولبنان الآن في العمق ويكاد ينطبق على كل البلاد العربية بدرجة أو أخرى هو أيضا بالإضافة للإمبريالية والعنصرية والاستغلال منظومة من القيم الاستهلاكية الشائعة التى تجعل نمط الاستهلاك فى الغرب وخاصة استهلاك الطبقات الثرية والوسطى مثلا أعلى ينحاز له الشباب حتى لو كانوا من غير القادرين، ويستهلكون طاقاتهم من أجل الوصول إليه بينما يسقطون ومعهم الفئات الشعبية فى البؤس والحرمان يوما بعد يوم فيزداد الإحباط والعجز واللامبالاة.

سوف يفتح لهم التسيس باب منظومة ثانية تنهض أساسا على الوعى الجديد وقوة الروح والالتزام أو الإندماج فى النشاط السياسى والاجتماعى ضمن مشروع لتغيير العالم.

والشباب هم بحكم طزاجة أحلامه ورؤاه هو أكثر استعدادا لانتقاد الأنانية والنزعات الفردية المدمرة والفهلوة والشطارة والاستهلاك العدمى لأنه يتطلع للامتلاء الروحى والمثل العليا الإنسانية، وما أن يدخل إلى مناطق الوعى الجديد إلا ويأخذ فى ابتداع الأمل.

المهم أن لا ترتبط فكرة التسيس بالمهمات الكبيرة وحدها، ففى أى عمل صغير وأولى يدعم الشعبيين اللبنانى والفلسطينى بطولة.. وطريق الألف ميل يبدأ بخطوة، وصراعنا مع الإمبريالية والصهيونية والاستغلال والنهب ممتد ومرير، والمؤسسات المطالبة بالنهوض بعملية التسيس الشامل لهؤلاء الشباب كثيرة من أحزاب ونقابات ومنظمات مجتمع مدنى وإعلام وشخصيات عامة وقائدة.

لا أعرف إن كنت قد قدمت ردا شافيا للمذيعة الشابة على سؤالها، وقد كانت هى نفسها تختنق بالدموع وهى تسألنى عن عجز الشباب.. وعن الأمل .. وطالما فكرت فى ابتداع الأمل.

المحررة

شعر

متى يعلنون وفاة العرب؟

نزار قباني

-١-

أحاولُ منذ الطُفولةِ رسْمَ بلادٍ

تُسمّى - مجازا - بلادَ العَرَبْ

تُسامحُني إن كسرتُ زُجاجَ

القمرْ...

وتشكرُني إن كتبتُ قصيدةَ حبٍ

وتسمحُ لي أن أمارسَ فعْلَ الهوى

ككلّ العصافير فوق الشجرْ...

أحاول رسم بلادٍ

تُعلّمني أن أكونَ على مستوى

العشْقِ دوما.

فأفرشَ تحتكِ ، صيفا ، عباءةَ حبي

وأعصرَ ثوبكِ عند هُطول المطرْ...

- ٢ -

أحاولُ رسْمَ بلادٍ...

لها برلمانٌ من الياسَمينْ.

وشعبٌ رقيق من الياسَمينْ.

تنامُ حمائمُها فوق رأسي.

وتبكي مآذنُها في عيوني.

أحاول رسم بلادٍ تكون صديقةَ

شِعْري.

ولا تتدخلُ بيني وبين ظُنوني.

ولا يتجولُ فيها العساكرُ فوق

جبيني.

- تنشر أدب ونقد هذه القصيدة تحية للمقاومة اللبنانية والفلسطينية وفضحا للأنظمة العربية المستخزية.

أحاولُ رسْمَ بلادٍ..
تُكافئني إن كتبتُ قصيدةَ شِعْرٍ
وتصــفَحُ عني ، إذا فــاض نهــرُ
جنوني

-٣-

أحاول رسم مدينةٍ حبٍ..
تكون مُحرّرةً من جميع العُقَدْ...
فـــــلايـذبحـــــون الأنـوثـةَ
فيها...ولايقمَعون الجَسَدْ...

- ٤ -

رَحَلتُ جَنوبا...رحلت شمالا...
ولافائدهْ...
فـقــهوةُ كلِ المقــاهي ، لهــا نكهــةُ
واحدهْ...
وكلُ النساءِ لهنّ - إذا ما تعرّينَ-
رائحةٌ واحدهْ...
وكل رجــالِ القـبـيلةِ لايمْضَــغـون
الطعامْ
ويلتهمون النساءَ بثانيةٍ واحدهْ.

-٥-

أحاول منذ البداياتِ...
أن لاأكونَ شبيها بأي أحدْ...
رفضتُ الكلامَ المُعلّبَ دوما.
رفضتُ عبادةَ أيِ وثَنْ...

-٦-

أحـاول إحـراقَ كلِ النصـوصِ التي
أرتديها.
فبعضُ القصائدِ قبْرٌ ،
وبعضُ اللغاتِ كَفَنْ.
وواعدتُ آخِرَ أنْثى...
ولكنني جئتُ بعد مرورِ الزمنْ...

-٧-

أحاول أن أتبرّأَ من مُفْرداتي
ومن لعْنةِ المبتدا والخبرْ...
وأنفُضَ عني غُباري.
وأغسِلَ وجهي بماء المطرْ...
أحــــاول مـن سـلطة الـرمْـلِ أن
أستقيلْ...
وداعا قريشُ...
وداعا كليبُ...
وداعا مُضَرْ...

-٨-

أحاول رسْمَ بلادٍ

تُسمّى - مجازا - بلادَ العربْ
سريري بها ثابتٌ
ورأسي بها ثابتٌ
لكي أعرفَ الفرقَ بين البلادِ وبين السُفُنْ...
ولكنهم...أخذوا عُلبةَ الرسْمِ منّي.
ولم يسمحوا لي بتصويرِ وجهِ الوطنْ...

- ٩ -

أحاول منذ الطفولةِ
فتْحَ فضاءٍ من الياسَمينْ
وأسّستُ أولَ فندقِ حبٍ...بتاريخ كل العربْ...
ليستقبلَ العاشقينْ...
وألغيتُ كل الحروب القديمةِ...
بين الرجال...وبين النساءْ...
وبين الحمامِ...ومَن يذبحون الحمامْ...
وبين الرخام ومن يجرحون بياضَ الرخامْ...
ولكنهم...أغلقوا فندقي...
وقالوا بأن الهوى لايليقُ بماضي العربْ...
وطُهْرِ العربْ...
وإرثِ العربْ...
فيا لَلعجبْ!!

- ١٠ -

أحاول أن أتصورَ ما هو شكلُ الوطنْ؟
أحاول أن أستعيدَ مكانِيَ في بطْنِ أمي
وأسبحَ ضد مياه الزمنْ...
وأسرقَ تينا ، ولوزا ، و خوخا.
وأركضَ مثل العصافير خلف السفنْ.
أحاول أن أتخيّلَ جنّة عَدْنٍ
وكيف سأقضي الإجازةَ بين نُهور العقيقْ...
وبين نُهور اللبنْ...
وحين أفقتُ...اكتشفتُ هَشاشةَ حُلمي
فلا قمرٌ في سماءِ أريحا...
ولا سمكٌ في مياهِ الفُرات...
ولا قهوةٌ في عَدَنْ...

- ١١ -

أحــاول بالشــعْــرِ...أن أُمــسِكَ المستحيلْ...
وأزرعَ نخلا...
ولكنهم في بلادي ، يقُصّون شَعْرَ النخيلْ...
أحــاول أن أجــعلَ الخــيلَ أعلى صهيلا
ولكنّ أهلَ المدينةِيحــتــقــرون الصهيلْ!!

- ١٢ -

أحاول - سيدتي - أن أحبّكِ...
خارجَ كلِ الطقوسْ...
وخارج كل النصوصْ...
وخارج كل الشرائعِ والأنْظِمَةْ
أحاول - سيدتي - أن أحبّكِ...
في أي منفى ذهبت إليه...
لأشعرَ - حين أضمّكِ يوما لصدري -
بأنّي أضمّ تراب الوَطَنْ...

-١٣-

أحاول - مذْ كنتُ طفلا ، قراءة أي كتابٍ ،
تحدّث عن أنبياء العربْ.
وعن حكماءِ العربْ... وعن شعراءِ العربْ...
فلم أر إلا قــصــائدَ تلحَسُ رجلَ الخليفةِ
من أجل جَـفْنةِ رزٍ... وخمسين درهمْ...
فيا للعَجَبْ!!
ولم أر إلا قبائل ليست تُفرّق ما بين لحم النساء...
وبين الرُطَبْ...
فيا للعَجَبْ!!
ولم أر إلا جرائد تخلع أثوابها الداخليّةْ...
لأيِ رئيسٍ من الغيب يأتي...
وأيِ عقيدٍ على جُثّة الشعب يمشي...
وأيِ مُرابٍ يُكدّس في راحتيه الذهبْ...
فيا للعَجَبْ!!

-١٤-

أنا منذ خمسينَ عاما،
أراقبُ حال العربْ.
وهم يرعدونَ ، ولايمُطرونْ...

وهم يدخلون الحـــــــروب ،
ولايخرجونْ...
وهم يعلِكونَ جلود البلاغةِ عَلْكا
ولا يهضمونْ...

-١٥-

أنا منذ خمسينَ عاما
أحاولُ رسمَ بلادٍ
تُسمّى – مجازا – بلادَ العربْ
رسمتُ بلون الشرايينِ حينا
وحينا رسمت بلون الغضبْ.
وحين انتـــهى الرسمُ ، ســـألتُ
نفسي:
إذا أعلنوا ذاتَ يومٍ وفاةَ العربْ...
ففي أيِ مقبرةٍ يُدْفَنونْ؟
ومَن سوف يبكي عليهم؟
وليس لديهم بناتٌ...
وليس لديهم بَنونْ...
وليس هنالك حُزْنٌ ،
وليس هنالك مَن يحْزُنونْ!!

-١٦-

أحاولُ منذُ بدأتُ كتابةَ شِعْري
قياسَ المسافةِ بيني وبين جدودي
العربْ.

رأيتُ جُيوشا ...ولا من جيوشْ...
رأيتُ فتوحا ...ولا من فتوحْ...
وتابعتُ كلَ الحروبِ على شاشةِ
التلْفزهْ...
فقتلى على شاشة التلفزهْ...
وجرحى على شاشة التلفزهْ...
ونصـــرٌ من الله يأتي إلينا ...على
شاشة التلفزهْ...

-١٧-

أيا وطني: جعلوك مسلْسلَ رُعْبٍ
نتابع أحداثهُ في المساءْ.
فكيف نراك إذا قطعوا الكهْرُباءْ؟؟

-١٨-

أنا ...بعْدَ خمسين عاما
أحاول تسجيل ما قد رأيتْ...
رأيتُ شـــعـــوبا تظنّ بأنّ رجـــالَ
المباحثِ
أمْرٌ من الله...مثلَ الصُداعِ...ومثل
الزُكامْ...
ومثلَ الجُذام...ومثل الجَرَبْ...
رأيتُ العروبةَ معروضةً في مزادِ
الأثاث القديمْ...
ولكنني...ما رأيتُ العَرَبْ!!...

وردة

القــــربــــان

محمود درويش

هيا.. تقدم أنت وحدك، أنت وحدك
حولك الكهان ينتظرون أمر الله، فاصعد
أيها القربان نحوالمذبح الحجري، ياكبش
الفداء.. فدائنا.. واصعد قويا

لك حبنا، وغناؤنا المبحوح في
الصحراء، هات الماء من غبش السراب،
وأيقظ الموتى! ففى دمك الجواب، ونحن
لم نقتلك.. لم نقتل نبيا
إلا لنمتحن القيامة، فامتحنا أنت
فى هذا الهباء المعدنى. ومت لتعرف
كم نحبك.. كم نحبك! مت لنعرف
كيف يسقط قلبك الملان، فوق دمائنا
رطبا جنيا:
لك صورة المعني. فلا ترجع إلي
أعضاء جسمك. واترك اسمك فى الصدي
صفة لشيء ما. وكن أيقونة للحائرين
وزينة للساهرين، وكن شهيدا شاهداً

● تهدى (أدب ونقد) هذه القصيدة إلي روح أحمد نبيل الهلالى.

طلق المحيا
فبأى آلاء نكذب؟ من يطهرنا
سواك؟ ومن يحررنا سواك؟ وقد
ولدت نيابة عنا هناك، ولدت من نور
ومن نار. وكنا نحن نجارين موهوبين في
صنع الصليب، فخذ صليبك وارتفع
فوق الثريا
سنقول: لم تخطىء، ولم نخطىء، إذا
لم يهطل المطر انتظرناه، وضحينا بجسمك
مرة أخري، فلا قربان غيرك. يا حبيب
الله، يا ابن شقائق النعمان، كم من
مرة ستعود حيا!
هيا، تقدم أنت وحدك، يا استعارتنا
الوحيدة فوق هاوية الغنائيين. نحن الفارغين
النائمين على ظهور الخيل.. نسألك الوفاء،
فكن وفياً للسلالة والرسالة. كن وفياً
للأساطير الجميلة و كن وفيا!
وبأى آلاء نكذب؟ والكواكب في
يديك، فكن إشارتنا الأخيرة، كن عبارتنا
الأخيرة فى حطام الأبجدية «لم نزل
نحيا، ولو موتى»، على دمك اتكلنا.
دلنا، وأضىء لنا دمك الزكيا!
لم يعتذر أحد لجرحك. كلنا قلنا
لروما: «لم نكن معه». وأسلمناك للجلاد.
فأصفح عن خيانتنا الصغيرة، يا أخانا
فى الرضاعة، لم نكن ندرى بما يجري،
فكن سمحا رضيا.
سنصدق الرؤيا ونؤمن بالزواج الفذ
بين الروح والجسد المقدس. كل ورد
الأرض لا يكفى لعرشك، خفت الأرض،

استدارت، ثم طارت كالحمامة فى سمائك.
ياذ بيحتنا الأنيقة، فاحترق لتضيئنا، ولتنبثق نجماً
قصياً.
أعلى وأعلى ، لست منا أن نزلت
وقلت: «لى جسد يعذبنى على خشب
الصليب». فإن نطقت.. أفقت، وانكشفت
حقيقتنا . فكن حلما لنحلم.. لا تكن بشراً
ولا شجراً. وكن لغزاً عصيا
كن همزة الوصل الخفيفة بين آلهة
السماء وبيننا، قد تمطر السحب العقيمة
من نوافذ حرفك العالي، وكن نور البشارة،
واكتب الرؤيا على باب المغارة، واهدنا
درباً سوياً
وليحتفل بك كل ما يخضر من
شجر ومن حجر، ومن أشياء تنساها
الفراشة فوق قارعة الزمان قصيدة..
وليحتفل بك كل من لم يمتلك ذكري،
ولا قمراً بهياً.
لا تنكسر! لا تنتصر، كن بين
بين معلقا، فإذا انكسرت كسرتنا.. وإذا
انتصرت كسرتنا، وهدمت هيكلنا، إذن،
كن ميتا – حيا، وحيا – ميتا، ليواصل
الكهان مهنتهم، وكن طيفا خفيفا
ولتبق وحدك عالياً، لا يلمس الزمن
الثقيل مجالك الحيوي، فاصعد ما استطعت،
فأنت أجملنا شهيداً، كن بعيداً ماستطعت.
لكى نرى فى الوحى ظلك أرجوانى الخريطة
والسلام عليك يوم ولدت فى بلد السلام.
ويوم مت، ويوم تبعث من ظلام الموت
حيا!

وردة

رسالة

وداعاً نبيل الهلالى

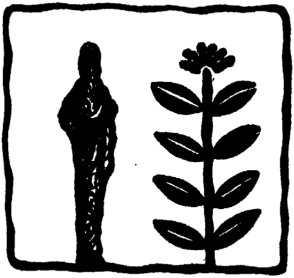
د.نصر حامد أبو زيد
(من هولندا)

لأنه كان أمة وحده، شرفاً وعفة
وصدقا ونزاهة ونبلا، اجتمع الوطن
كله لتأبينه.

عزيزى نبيل:
فى الليلة الظلماء يفتقد البدر
لم يمر الوطن - الذى اجتمع الليلة
ليودعك - بأحلك من هذه الظروف
بلطجة سياسية
وطحن للفقراء
وكبت للحريات
تلويث لسمعة الشرفاء
وتلميع للأنصاف وأشباه الرجال
وضع القضاة فى قفص الاتهام
فصارت منصة العدل خاوية

من حقك عزيزى نبيل أن تقرر
الرحيل
فعقلك لم يعد يحتمل كل هذا
اللامعقول
وقلبك فاض به الحزن
ولم يعد الجسد يحتمل كل هذا
العناء

من حقك أن ترحل



قلت لى فى مكالمتنا الهاتفية قبل
رحيلك بساعات
إنها علامات الشيخوخة المبكرة
وقلت لك أمامنا الكثير من العمل
فشد حيلك.
لم نكن نمزح عزيزى نبيل
كلانا كان يعنى ما يقول
من حقك أن ترحل
أردت فقط أن أقول لك اليوم
إن رحيلك يستلزم منا مضاعفة
الجهود
لتعويض هذا الرحيل
أيها الوطن الذى اجتمع الليلة
لوداع أحد فرسانه العشاق
لقد علمتنا الدرس يا نبيل: درس
الفروسية والعشق
أيها الوطن
كم نحبك
وسنستعيد لك بهاءك وجمالك
سنستعيد الحرية
ونحن ننزع عن وجهك قبح الطغيان
والفساد.

شعر

اعتذار عن كتابة قصيدة

زين العابدين فؤاد

(إلى نبيل الهلالى وفاطمة زكى)

تلاتين سنه
وأنا نفسى أكتب للهلالى قصيدة.

طب يعمل إيه الشعر؟
يفتح له صفحة جديدة

يفتح لمين
للهلالى!
صوته كتاب الزمن
على جلدة الكتاب اسمه
نبيل: الوطن
حروفه، حكى وغنا

مسقيه فرح وشجن
«اتلموا فى الشده»
تنزل سياط القهر على ضهره
يجمع جروحه الناشفه
بإدين نحيله
يغزلها من تانى
وردة تبوس وردة
يركب على مهره
يدخل فى حلم الفجر
مع ملاك النوم
يزور فاطمة

تلاتين سنه
والشعر متحير

ضله شجر
نكبر ما بين الجدر والأوراق
نتهجى أسامينا
نحفر قلوبنا
ما بين شمس الفروع
والساق
يجرح نظرنا
خلوة العشاق
نقرا الكلام ونبوح
«دا نبيل عشق فاطمة»
سامحينى يا فاطمة
وانتى فى غيابك
كتابه، هو هو كتابك
سامحينى يا فاطمة
على القصيدة اللى ما كتبتهاش

أنا اللى بتعلم غناه وبكاه
أنا اللى بنعس
لما تزيح طوايعه الخوف
وتمسح الرعده

سامحينى يا فاطمة
كل اللى اخاف منه

آه
لو نبيل
يتعلم الوحدة

ملف

لابد من صنعاء وإن طال السفر

« مختارات من الأدب اليمنى »



إعداد وتقديم:

عيد عبد الحليم

ليس الإبداع وليد الصدفة بل نتيجة ممارسة روحية وإنسانية عميقة لذلك نرى النتاج الإبداعى معبراً عن الذات الإنسانية سواء فى إطارها الفردى أو عبر محيطها الجماعي.

ولعل من خصائص الإبداع العربى أنه ابن شرعى للمكان سواء أكان هذا المكان واقعياً أو متخيلاً، بارزاً أو هامشياً، وهناك عدد من الكتاب الذين أرخوا لأمكنة - صارت شهيرة - فى كتاباتهم ولم يكن أحد ليعلم بتفاصيلها لولا ورودها فى ثنايا قصصهم ورواياتهم وأشعارهم كما حدث مع حارة نجيب محفوظ أو حوارى طنجة وتطوان كما عند محمد شكري، وغيرها من الحالات الإبداعية المتفردة.

وتأتى صنعاء كواحدة من المدن العربية - ذات الخصائص التاريخية المميزة - لتلقى بظلالها على تجربة الأدب اليمنى فيكتب الراحل محمد عبد الولى روايته الأشهر «صنعاء مدينة مفتوحة» ليغوص بقلمه داخل التركيبة الاجتماعية ذات الطابع القبائلى ليستنطق المسكوت عنه من خلال سرده لأدق التفاصيل عن العلاقات السائدة بين سكان هذه المدينة، متتبعاً حركة

الصعود الاجتماعى والسياسى وتأثيرها على التركيبة النفسية للأشخاص.

ويأتى الشاعر اليمنى الرائد «عبد الله البردونى» ليؤرخ لها فى ديوانه الشعرى الممتد عبر لغة تحفل بالتجديد الرؤيوى وإن جاء فى إطار القصيدة العمودية، ويعد «البردونى» واحداً ممن تجاوزا فكرة الشكل وثاروا على نمطيته وأغراضه المتعارف عليها فصارت القصيدة عنده وعاء لواقع اجتماعى يمور بالتحولات العاصفة.

ولم تكن - كذلك - تجربة «عبد العزيز المقالح» أحد رواد القصيدة الجديدة فى الوطن العربى منفصلة عن المكان فكان ديوانه المبكر «لابد من صنعاء» دليلاً واضحاً على تجربة مغايرة تتسم بالاقتحام والأسئلة عبر قناع أسطورى لا ينفصل عن دلالاته الواقعية وأحلام العدل والحرية:

«أحدق حولى.. ماذا أرى؟
وطناً للعصافير
والفقراء وللطيبين،
ولا جند، لا حكم،
لا شرطة، لا زنازن
تنشرح الروح
تطفو على سدرة الضوء
تنفض عنها رماد الكآبة

وهكذا يغنى الشاعر للوطن ولقضاياه، وهكذا يحتوى «المقالح» الأجيال الجديدة من الأدباء والشعراء اليمنيين ويصف قصيدتهم فى كتاباته فى جريدة «الثورة» بأنها «القصيدة الأجد» فى حين نرى كثيرا من شعرائنا الكبار فى مصر لا يرون إلا أنفسهم.

وفى ظل هذه الأجواء ظهرت أجيال شعرية وقصصية متنوعة الأداء كحسن اللوزى وعبد الكريم الرازحى وخالد الريشان ومحمد الشامى ونبيلة الزبير ومحمد القعود وعلى المقرى وأحمد السلامى وعبد الولى الشميرى وهدى العطاس وسوسن العريقى وأحمد العواضي، وغيرها من الأسماء المهمة.

وإذ يسعد «أدب ونقد» أن تقدم هذا الملف الخاص بالأدب اليمنى ليكون بمثابة تقديم لجزء من الصورة فى هذا البلد الشقيق ليتعرف القارئ المصرى والعربى على تجربة خاصة فى الإبداع . آملين أن يتواصل الخيط الإبداعى بين أقطار الوطن العربى من خلال ملفات قادمة إن شاء الله.

عيد عبد الحليم

ملف

الخطاب الروائى اليمنى
(رؤية مختصرة فى المسيرة والمضمون)

إبراهيم أبو طالب ●

إن الحديث عن الخطاب الروائى اليمنى كجنس أدبى جديد يمتد من حيث الزمان إلى ٦٦ عاماً، هو عمر الرواية اليمنية حتى يوم الناس هذا، حيث يعد عام ١٩٣٩م هو عام ميلاد الرواية اليمنية، وهو العام الذى صدرت فيه زواية «سعيد»(١) للمثقف اليمنى الرائد «محمد على لقمان»، وهى أول رواية يمنية تصدر فى عدن عن المطبعة العربية. ثم يتتابع وينمو رصيد الرواية اليمنية ليبلغ من حيث عدد االروايات لمدونة ة قرابة الـ ٧٥ رواية هى مجمل ما كتب فى هذا النوع الأدبى المهم.

١ - مسيرة الخطاب الروائى اليمنى:

بالنظر فى مسيرة الخطاب الروائى وتصنيفه - وهو غرض هذه الورقة - يمكننا أن نقف عند أربع مراحل أو محطات رئيسية فى هذه المسيرة تنقسم إلي:

● إبراهيم أبو طالب، مدرس بكلية التربية - أرحب، جامعة صنعاء.

١ -١: مرحلة الريادة:

وهى مرحلة البدايات بما تحمله من محاولات قصور من ناحية. وما تسجلة من زيادة وحضور من ناحية أخري، وتتمثل هذه الريادة فى رواية «سعيد» ١٩٣٩م. لمحمد على لقمان. وهى رواية تعالج في موضوعها الحياة البرجوازية فى تلك المرحلة لطبقة التجار الذين يمثلهم والد سعيد، ويصور حياتهم ومعارفهم، وسعيد يبدو فى الرواية كبطل قومى منفتح على قضايا مجتمعه الخاصة وقضايا العالم الإسلامى بوجه عام، وتقوم الرواية فى بنائها على التأثر بالموروث القصصى الشعبى أكثر من تأثرها بفن الرواية الغربية، وبدا ذلك واضحاً فى بنائها العام القائم على الحكاية الإطارية، وما تحتويه من حكايات متضمنة، وكذا ما سردته من قصص شعبى مرتبط بالأولياء وخكاياتهم الخارقة(٢). ومما يؤخذ على هذه الرواية الرائدة أنها تطرح الكثير من الشعارات بخطابية صارخة فى لغتها وبنائها الفنى شأن أى بداية لم يستقر بناؤها وتجربتها على وجه الدقة والوضوح.

ثم تأتى رواية «يوميات مبرشت»(٣) ١٩٤٨م لعبد الله محمد الطيب أرسلان، وقد طبعت فى عدن فى مطبعة صحيفة «فتاة الجزيرة» – صحيفة أسبوعية يمنية متطورة كانت تمثل الحاضنة الرؤوم للفن القصصى فى اليمن في تلك الفترة صدرت عام ١٩٤٠م – ورواية «يوميات مبرشت» لوحة صادقة للحياة التى عاشتها عدن فى فترة الأربعينيات، وهى فترة الحرب العالمية الثانية، وما سبقتها من حال متدهورة للاقتصاد العالمى ولعدن تحت السيطرة البريطانية، هذه الرواية تصور فى موضوعها حياة عامل من الطبقة المتوسطة تأخذه موجة السعى فى تيار أثرياء الحرب ليتحول إلى «مبرشت» والبرشته مصطلح يعنى التهريب(٤). وتعرض الرواية على شكل مذكرات يومية (تبدأ من ١ يناير وتنتهى بـ أول يوليو من السنة الثانية)، والمدة الزمنية بين أول رواية وثانى رواية تبلغ تسع سنوات، ثم ننتظر أحد عشر عاماً أخرى حتى تأتى رواية «حصان العربة(٥) ١٩٥٩م لعلى محمد عبده، وهى مدد زمنية متفاوتة – كما تلاحظ – تقدم هذا الفن على فتور وتباعد، وتعالج من حيث المضمون قضايا إصلاحية واجتماعية عالية النبرة من حيث المباشرة والسطحية.

١ -٢: مرحلة التأسيس:

تبدأ هذه المرحلة زمنياً مع بداية ١٩٦٠م، وتمتد حتى أوائل السبعينيات وهى مرحلة مهمة جداً على المستوى الوطنى لما احتوته من أحداث مر بها الشعب اليمنى أبرزها قيام الثورة المجيدة فى الشمال ١٩٦٢م، والاستقلال عن المستعمر فى الجنوب ١٩٦٧م، وتثبيت قواعد الجمهورية، وهذه المرحلة على مستوى الخطاب الروائى كان فيها محاولة التأسيس لهذا

الفن الأدبى المهم، وإن كانت ثمرة ذلك لم تؤت بشكل واضح إلا فى السبعينيات. لكن تظل محاولة محمد محمود الزبيرى (أبو الأحرار، شاعر الثورة الكبير، توفى ١٩٦٥م) فى روايته «مأساة واق الواق»(٦) ١٩٦٠م ذات أثر واضح فى إيجاد فن روائى، وإن كان مايزال متأثرا - إلى حد كبير - بالموروث العربى الديني، وبخاصة قصة الإسراء والمعراج، ورسالة الغفران للمعري، ومحملاً بالقضية الوطنية ورموزها ومشكلاتها، ويبرز فيها المضمون السياسى بنبرة صارخة يغلب أحياناً كثيرة على الفن والبناء الروائى لكنها تظل محاولة للتأسيس. تتبعها رواية «مذكرات عامل»(٧) ١٩٦٦م لغلى محمد عبده بما تحمله هذه الرواية من مضمون الطبقة العاملة وهمومها، واستغلال الأغنياء لجهود الكادحين، ويأتى المضمون الاجتماعى أكثر وضوحاً فى روايتى: «القات يقتلنا»(٨) ١٩٦٩م، و«ضحية الجشع»(٩) ١٩٧٠م لرمزية الإرياني، ورواية «مصارعة الموت»(١٠) ١٩٧٠م لعبد الرحيم السبلاني، وتبدو فيه صورة المجتمع وقضايا المرأة المستلبة، والزواج غير المتكافئ، والثأر وغيرها من المضامين أغلب من حيث اهتمام الكتاب، ولكنها تمثل مرحلة مهمة فى طريق التأسيس لهذا الفن الروائي، والذى تبدو خطوة محمد عبد الولى وتجربته الروائية هى الأكثر قدرة وتمكناً فى هذه المرحلة لما يمتلكه هذا القاص من أدوات خاصة وموهبة حقيقية جعلته يعالج موضوعاً اجتماعياً فى غاية الخطورة فى حياة اليمنى هو موضوع الهجرة والمولدين - الذين يكونون من أب يمنى وأم حبشية تحديداً - فى روايته «يموتون غرباء»(١١) ١٩٧١م، ويقدم روايته فى شكل فنى محكم ورصين، يمثل بالفعل الشكل والمستوى الأكثر نضجاً وتأسيساً للخطاب الروائى فى هذه المرحلة.

١ -٣ مرحلة التجنيس:

وهى مرحلة السبعينيات والثمانينيات حيث استقرت فيها الرؤية الفنية - نوعا ما - وثبتت كجنس أدبى قائم بذاته فى وعى كتاب المرحلة وممارستهم، وتمكن القاص من هذا الفن الروائى من خلال تكرار التجربة، والقراءات، والمعارف العامة، والمتابعة، والانفتاح على الرواية العربية والعالمية، وظهرت أسماء أخلصت لهذا الفن وطورته حتى تمكنت من الكتابة فيه - أو كادت - نذكر من ذلك مثلا: محمد عبد الولى، عبد الوهاب الضوراني، عبد الكريم المرتضي، حسين مسيبلي، حسين سالم باصديق، محمود صغيرى، محمد حنيبر، عبد الله سالم باوزير، زيد مطيع دماج (وروايته الرهينة نموذج ناضج للرواية اليمنية)، محمد مثني، عبد المجيد قاضي، يحيى على الإرياني، سلوى الصرحي، سعيد عولقى وغيرهم، استمر بعضهم وتوقف البعض الآخر مما خسر بسببه المشهد الروائى أقلاماً كانت قد بدأت فى الطريق الصحيح فنياً.

١ -٤: مرحلة التجديد:

وهى مرحلة التسعينيات وما بعدها حتى بدايات هذا القرن، وإن كان التجديد – فى هذه المرحلة – محسوباً ومحدوداً فى بعض محاولات القاصين الشباب، ولم يتحول إلى ظاهرة غالبة – حتى نكون أكثر دقة فى هذا التصنيف – وذلك فيما تبرزه بعض كتابات نبيلة الزبير فى روايتها «إنه جسدى»(١٢) ٢٠٠٠م، ووجدى الأهدل فى «قوارب جبلية»(١٣)، «المومضات الأخيرة فى سبأ»(١٤) ٢٠٠٢م، وحبيب عبد الرب سرورى فى روايته «الملكة المغدورة»(١٥) ١٩٩٩م، و«دملان»(١٦) ٢٠٠٢م، وعبد الناصر مجلى فى «رجال الثلج»(١٧) ٢٠٠٠م، وهند هيثم فى «ملوك لسماء الأحلام والأمانى»(١٨) ،وحرب الخشب»(١٩) ٢٠٠٣م، وسامى الشاطبى فى «كائنات خربة»(٢٠)، و«للأمل مواسم أخرى»(٢١) ٢٠٠٣م.

ومحاولات التجديد هذه تأتى على مستوى اللغة، والانشغالات بالشكل والمضمون فى محاولة الخروج عن التراتبية الموروثة من بداية ووسط ونهاية، ومن عقدة وحل.. إلخ من تلك التقنيات، وتأتى محاولاتهم فى التجزيب على السرد والرؤيا والتشكيل اللغوى لهذا الجنس الأدبى العميق ومع ذلك فثمة كتابات كثيرة فى هذه المرحلة متعلقة بالمرحلة السابقة «مرحلة التجنيس» إن لم نقل بردها إلى مراحل تقليدية موغلة، من خلال عدم تطوير البعض لكتاباتهم وآلياتهم، وجنوح البعض الآخر إلى الكتابة الملاصقة للواقع ملاصقة مرآوية بعيدة عن الفن، أو اللجوء إلى الكتابة سير الذاتية لدى كتاب يمتد حضورهم – عيشاً وكتابة – إلى أجيال سابقة لكن قصصهم لم تخرج إلا فى هذه المرحلة.

٢ – مضامين الخطاب الروائى:

اشتمل الخطاب الروائى فى اتساعه كمدونة ومتن وفى امتداده الزمنى على الكثير من المضامين التى عالجها بداية بالمضامين الإصلاحية ذات الأداء المباشر والنبرة الخطابية العالية كما فى «سعيد» للقمان و«مصارعة الموت» للسبلانى، و«ضحية الجشع» لرمزية الإريانى – كما سبقت الإشارة.

أما المضمون السياسى فقد تزامن بعضه مع حركة التحرر الوطنى من الإمامة فى الشمال، كما فى رواية «مأساة واق الواق» ١٩٦٠م للزبيري، أو تلك الروايات التى كتبت فيما بعد لكنها تعالج نفس المضمون السياسى كما فى رواية «صنعاء مدينة مفتوحة»(٢٢) ١٩٧٨م لمحمد عبد الولى، و«قرية البتول»(٢٣) ١٩٧٩م لمحمد حنيبر ، و«الرهينة»(٢٤) ١٩٨٤م لزيد مطيع دماج، و«زهرة البن»(٢٥) ١٩٩٨م لعلى محمد زيد ، وكذلك ما كان منها يعالج قضية الاستقلال من الاستعمار البريطانى وسطوة السلاطين فى جنوب اليمن، كما فى رواية

«مرتفعات ردفان»(٢٦) ١٩٧٦م لحسين صالح مسيبلي، و«طريق الغيوم»(٢٧) ١٩٧٧م لحسين سالم باصديق وغيرها.

أما الروايات ذات المضمون الاجتماعي فلها نصيب وافر، حيث عالجت فترات مختلفة من الزمن في اليمن الحديث وقضايا أبنائه وهمومهم، وقد ظهرت هذه الروايات حين استقرت القضية الوطنية وهدأ الصراع وثبتت قواعد الدولة الحديثة، وبدأ الإنسان اليمني يبني حياته على طريق الاستقرار والسلام، ومن ذلك مثلاً عدد من الروايات التي تهتم بشرائح معينة من المجتمع وتلتفت إلى قضاياهم المصيرية كرواية «مجمع الشحاذين»(٢٨) ١٩٧٦م لعبد الوهاب الضوراني، وقضية الطبقة المثقفة والبحث عن فرص العمل كرواية «سفينة نوح»(٢٩) ١٩٨١ لعبد الله باوزير، وهموم مجتمع القرية كرواية «الإبحار على متن حسناء»(٣٠) ١٩٨٤م لحسين باصديق، وقضية الهجرة وغربة اليمني على اختلاف الزمن كروايات: «يموتون غرباء» لمحمد عبد الولي، (وتعالج الغربة في الحبشة، وقضية المولدين في فترة ما قبل الثورة)، ورواية «نحو الشمس شرقا»(٣١) ١٩٩٨م ليحيى على الإرياني (وتعالج الغربة السياسية مع قضايا حديثة لما بعد الوحدة)، ورواية «رجال الثلج» ٢٠٠٠م لعبد الناصر مجلي (وتعالج غربة اليمني الحديثة في أمريكا من وجهة نظر عملية، وتجربة كاتبها الفعلية).

وأما رواية «شارع الشاحنات»(٣٢) ١٩٨٥م لمحمد سعيد سيف فهمي فصور ضغوط المدينة على المثقف وجفافها في وجهه، ورواية «ركام وزهر»(٣٣) ١٩٨٨م ليحيى على الإرياني تبين صراع القيم بين المدينة والريف، كما يتجلى فيها صعود نماذج من الطبقة الوسطى وتبلورها، وفي «هموم الجد قوسم»(٣٤) ١٩٨٨م لأحمد مثنى صراع القديم والجديد وبيان الثوابت الجميلة لدى المجتمع التهامي تحديداً، وفي «الصمصام»(٣٥) ١٩٩٣م لصالح باعامر تتضح خصوصية مجتمع الصيادين وهمومهم وأفكارهم، وفي روايتي: «أحلام .. نبيلة»(٣٦) ١٩٩٧م و«أركنها الفقيه»(٣٧) ١٩٩٨م لعزيزة عبد الله معالجات لمشاكل المرأة وعذاباتها وهي تبدو كضحية للحاجة والمجتمع القاسي في الأولى، وللجهل والتغرير بها من الرجل في الثانية.

وللرواية ذات المضمون التاريخي حضور أيضا في ثلاث روايات هي: «ليلة ظهور أسعد الكامل»(٣٨) ١٩٩٢م لأحمد قائد بركات، (حوارية بين الراوي وأحد ملوك حمير القدماء بوحي من المكان حين يزور الكاتب مأرب، ويقف أمام سدها الشهير، وفيها ربط بين الماضي والحاضر)، ورواية «رؤيا شمر يرعش»(٣٩) ١٩٩٧م لأنور محمد خالد (وهي الرواية التاريخية الوحيدة حتى الآن بالمعنى الفني والتقني للرواية التاريخية التي تعالج تلك الفترة السحيقة من تاريخ اليمن)، ورواية «دار السلطنة»(٤٠) ١٩٩٨م لزمزية الإرياني، (وهي تقدم

تاريخ السيدة بنت أحمد الصليحي ملكة اليمن في التاريخ الوسيط وإن كانت تخاطب الناشئة). وأما رواية السيرة الذاتية فيكرس لها أحمد قائد بركات ثلاثية منازل القمر: «تباشير الأماني»(٤١) ١٩٩٨م، و«سنوات البراءة»(٤٢) ٢٠٠١م، و«المدار الغربي»(٤٣) ٢٠٠١م، ومن قبلها روايته «المبشع»(٤٤) ١٩٩٣م. وتأتي الروايات ذات المضمون العاطفي عرضا في اهتمام الروائي اليمني، وقد نلمح الكثير من تلك المضامين العاطفية يدور بالضرورة في بناء عدد من الروايات لكن نادراً ما نجد رواية تحمل ذلك المضمون عن قصد أو تكرس من أجله بحيث يقوم بناؤها وفكرتها وغايتها وفقاً على المضمون العاطفي، ولعل ذلك يرجع إلى تصور لدى الكتاب - وذلك بلا شك تصور خاطئ - مفاده أن الحب هو آخر ما يمكن أن يقف لديه الإنسان في سلم الضروريات.

٣- التسعينيات وما بعدها مرحلة خصبة للرواية:

بعد قيام الوحدة اليمنية توافر للأدب مناخ إبداعي له خصوصية متميزة من حيث الحرية، والانتشار، وإمكانية النشر بشكل أوسع، وتنامي المؤسسات الثقافية المهتمة بالحراك الثقافي والإبداعي، هذا بالإضافة إلى المناخ السياسي والاجتماعي الحافل بالأحداث والمتغيرات المختلفة والذي تحتاج إليه الرواية - عادة - لرصد أبعاده ورؤاه، فهي من حيث طبيعتها فن يرصد أزمات المجتمع وتغيراته، ويصور حركة الفرد وعالمه الداخلي والخارجي في إطار ذلك المجتمع المتحرك، وبنظرة بيبليوجرافية(٤٥) سريعة للإنتاج الروائي خلال هذه الفترة يتأكد للناظر ما نذهب إليه بأن الرواية تعيش في التسعينيات وما تلاها حتى اليوم أخصب عصورها من حيث الكم والكيف معاً، ونختلف مع ما يذهب إليه بعض الدارسين (٤٦) بأن الرواية في هذه الفترة نائمة بالقياس إلى جنس أدبي آخر - له خصوصيته نشراً وإبداعا من حيث السهولة والقدرة على النشر السريع والتعبير عن روح الفرد أكثر من روح المجتمع - ونعني به القصة القصيرة.

هوامش

١ - سعيد، محمد علي إبراهيم لقمان، ط١، ١٩٣٩م، عدن - المطبعة العربية، وطبعت مرة أخرى ضمن مجلة الثقافة الجديدة، عدن، العدد الرابع - يوليو ١٩٩٢م.

٢- للمزيد حول هذه النقطة يمكن الرجوع إلى كتاب إبراهيم أبو طالب: «الموروثات الشعبية القصصية في الرواية اليمنية: دراسة في التفاعل النصي» صنعاء إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، ط١، ٢٠٠٤م.

٣ - يوميات مبرشت، عبد الله محمد الطيب أرسلان، ط١، ١٩٤٨م، عدن - مطبعة فتاة

الجزيرة.

٤ – اطلقت هذه الكلمة (البرشات) لتعنى التهريب وسبب ذلك كما يذكر كاتب الرواية فى مقدمتها: «أن أحد رجال البوليس من سلاح الطيران، كان فى دار الأمير يفتش على بعض الأدوات المسروقة فراعه ما رأى من كثرة البضائع المكدسة هناك، فقال لمن رافقه وهو يظهر الاندهاش: لابد أن هذه البضائع قد انزلت بالبرشوت وإلا كيف أتت والبوليس المدنى مرابط فى كل المراكز. فانتشر ما قال بين الناس ووافقت كلمة «البرشوت» هوى فى نفوسهم فأطلقوها على معنى التهريب منذ ذلك اليوم» ينظر: رواية «يوميات مبرشت، ص٩.

٥ – حصان العربة: على محمد عبده، ١٩٥٩م، عدن صحيفة الكفاح.

٦– مأساة واق الواق: محمد محمود الزبيري، ط١، ١٩٦٠، القاهرة وطبعة أخرى عن دار العودة – بيروت ١٩٨٧، وعن دار الكلمة – صنعاء (١٩٨٥).

٧ – مذكرات عامل: على محمد عبده، ١٩٦٦ عدن ، صحيفة الطريق.

٨ – القات يقتلنا: رمزية عباس الإرياني، ١٩٦٩م، تعز، د.م.

٩ – ضحية الجشع: رمزية عباس الإرياني، ١٩٧٠، تعز – دار القلم للطباعة والنشر.

١٠ – مصارعة الموت عبد الرحيم السبلاني، ١٩٧٠ تعز – الدار الحديث للطباعة والنشر.

١١ – يموتون غرباء: محمد أحمد عبد الولي، ١٩٧١ عدن – صحيفة الشرارة، وطبعت عن اتحاد الكتاب اليمنى ضمن مجلة (الحكمة) وعن دار العودة عدة طبعات آخرها عام ١٩٨٦م.

١٢ – إنه جسدى ، نبيلة الزبير، ٢٠٠٠ القاهرة – الهيئة العامة لقصور الثقافة – سلسلة آفاق الكتابة (٣٩).

١٣– قوارب جبلية، وجدى الأهدل، صنعاء، مركز عبادى ط١ يناير ٢٠٠٢م، وبيروت – لندن دار رياض الريس ط٢. حزيران/ يونيو ٢٠٠٢م.

١٤ – الومضات الأخيرة فى سبأ، وجدى الأهدل، ٢٠٠٢ تعز صحيفة الثقافية.

١٥ – الملكة المغدورة، حبيب عبد الرب سروري، ١٩٩٩ صنعاء مؤسسة المهاجر كتاب المهاجر رقم (٣) طبعت فى مركز عبادى للدراسات والنشر ، ونشرت مسلسلة فى صحيفة الثقافية عام ١٩٩٩ ترجمها عن الفرنسية د. على محمد زيد.

١٦– دملان ، حبيب عبد الرب سرورى ٢٠٠٢ صنعاء – مؤسسة العفيف الثقافية

١٧– رجال الثلج، عبد الناصر مجلي، ٢٠٠٠ تعز – صحيفة الثقافية.

١٨– ملوك لسماء الأحلام والأماني، هند محمد هيثم ٢٠٠٣، صنعاء – مركز عبادى واتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين.

١٩ – حرب الخشب، هند محمد هيثم ٢٠٠٣ صنعاء – مركز عبادى ، واتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين.

٢٠ – كائنات خربة، سامى صالح الشاطبى ٢٠٠٢ صنعاء – مركز عبادي
٢١ – للأمل مواسم أخري، سامى صالح الشاطبى ٢٠٠٢ صنعاء – مركز عبادي.
٢٢ – صنعاء مدينة مفتوحة، محمد أحمد عبد الولي، ١٩٧٨، عدن – مؤسسة ١٤ أكتوبر، وعن دار العودة – بيروت عدة طبعات أخرها فى ١٩٨٦م.
٢٣– قرية البتول، محمد حنيبر، ١٩٧٩م، دمشق – عالم الكتب.
٢٤ – الرهينة، زيد مطيع دماج، ١٩٨٤، بيروت – دار الآداب. وعن دار رياض الريس – لندن عام ١٩٩٧ م وضمن مشروع اليونسكو (كتاب فى جريدة) عام ١٩٩٨، والهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة عام ١٩٩٩م.
٢٥ – زهرة البن، على محمد زيد ١٩٩٨ بيروت – دار الكنوز الأدبية.
٢٦ – مرتفعات ردفان، حسين صالح مسيبلي، ١٩٧٦، عدن – مؤسسة ١٤ أكتوبر.
٢٧ – طريق الغيوم، حسين سالم باصديق ، ١٩٧٧ بيروت – دار الفارابى – إصدارات وزارة الثقافة عدن.
٢٨ –مجمع الشحاذين، عبد الوهاب الضوراني، ١٩٧٦، صنعاء – صحيفة الثورة من تاريخ ١/٢٦ عدد ٢٤٨٩ إلى ٢/١٣، عدد ٢٥٠٧ ونشرت فى كتاب عام ١٩٧٩ عن مطابع الناشر العربي – القاهرة.
٢٩ – سفينة نوح عبد الله سالم باوزير ١٩٨١، عدن – دار الهمداني، وطبعت فى صنعاء مركز عبادى للدراسات والنشر عام ٢٠٠١م ضمن سلسلة إبداعات يمانية.
٣٠ – الإبحار على متن حسناء، حسن سالم باصديق ١٩٨٤ بيروت – دار الفارابى – إصدارات وزارة الثقافة عدن.
٣١ – نحو الشمس شرقا، يحيى على الإريانى ١٩٩٨، عمان – دار أزمنة للنشر والتوزيع.
٣٢ – شارع الشاحنات، محمد سعيد سيف، ١٩٨٥، صنعاء – مجلة اليمن الجديد، ومنشورات اتحاد الكتاب اليمنيين (كتاب الحكمة طبع بمطابع مؤسسة الثورة للصحافة والنشر عام ١٩٩٨م.
٣٣ – ركام وزهر، يحيى على الإرياني، ١٩٨٨، بيروت – دار التنوير.
٣٤– هموم الجد قوسم، أحمد مثني، ١٩٨٨، بيروت – دار الحداثة.
٣٥ – – الصمصام ، صالح باعامر، ١٩٩٣ القاهرة، مطابع الكويرى.
٣٦ – أحلام .. نبيلة ، عزيزة عبد الله ١٩٩٧، القاهرة – مكتبة الخانجي.
٣٧ – أركنها الفقيه، عزيزة عبد الله ١٩٩٧ القاهرة – مكتبة الخانجي.
٣٨ – ليلة ظهور أسعد الكامل، أحمد قائد بركات ١٩٩٢ صنعاء دائرة الصحافة والطباعة.
٣٩ – رؤيا شمر يرعش، أنور محمد خالد ١٩٩٧ بيروت – دار الفكر العربي.



٤٠- دار السلطنة، رمزية عباس الإرياني ١٩٩٨ صنعاء - حقوق النشر محفوظة للمؤلفة، دون تحديد دار النشر.

٤١ - منازل القمر: المنزلة الأولى (تباشير الأماني) أحمد قائد بركات ١٩٩٨ صنعاء - منشورات صحيفة الثورة.

٤٢ - منازل القمر: المنزلة الثانية (سنوات البراءة)، أحمد قائد بركات، ٢٠٠١ صنعاء مركز عبادي للدراسات والنشر.

٤٣ - منازل القمر : المنزلة الثالثة (المدار الغربي) أحمد قائد بركات ٢٠٠١ صنعاء - مركز عبادي للدراسات والنشر.

٤٤ - المبشع، أحمد قائد بركات ١٩٩٣ صنعاء - دائرة الصحافة والطباعة.

٤٥- يمكن الرجوع إلى البيلوجرافيا التفصيلية عن الرواية اليمنية من عام ١٩٣٩ م حتى عام ٢٠٠٢ م في كتاب الموروثات الشعبية القصصية في الرواية اليمنية، مرجع سبق ذكره.

٤٦- ينظر : مقال هشام سعيد شمسان: القصة في اليمن من السرديات التقليدية إلى الحداثة الفنية. المصدر: Http://www.aimotamar.net/5299 htmi

مقال

عبد العزيز المقالح في القاهرة

د. راتب سكر - سوريا

فى عام ١٩٦٣ سافر الشاعر عبد العزيز المقالح من ربوع اليمن فى رحلة مشغولة بهموم الأدب والثقافة، كان فى السادسة والعشرين من عمره، يفيض حماسه للشعر والنهوض الوطنى المسكون بهواجسه العربية هوية وحلماً، وكانت تلك المرة الأولى التى يغادر فيها أسوار اليمن المسيج منذ عهود طويلة بالأسى والبؤس والعزلة والحرمان.

سافر إلىٰ القاهرة التى كانت - وماتزال طبعاً - عاصمة للأحلام العربية فى توقها إلى الوحدة والتحرر والعدالة الاجتماعية. تعد هذه الزيارة معلماً بارزاً من معالم العلاقات الثقافية التى ظلت تؤثر فى مكوناته المعرفية والوجدانية.

فى هذه الزيارة التى التقى بعدد غير قليل من المثقفين والشبان العرب الذين ضمتهم القاهرة فى تلك الأيام، منهم الشاعر الفلسطينى يوسف الخطيب الذى كان يتبع دورة تدريبية فى إذاعة القاهرة، والشاعر المصرى صلاح عبد الصبور، وقد رافقهما الشاعر المقالح مع مجموعة من الأقران إلى «كازينو قصر النيل» لمقابلة المثقف المعروف عبد الكريم زهور عدى (ت١٩٨٦ م) الذى وصل ضمن الوفد السورى لمباحثات الوحدة الثلاثية المنشودة بين مصر وسوريا والعراق. وراح اللقاء به يتكرر لعدة أيام فيتناول الحديث الدولة اليمنية الفتية بعد مرور سنة على ثورة ٢٦ سبتمبر.

فى خلال سنوات إقامتى الجميلة فى صنعاء (١٩٩٧ - ٢٠٠١)، كان الشاعر المقالح يشعر

بمعانى الفرح المشتعل فى عينى الصغيرتين، عندما أصغى إلى ذكرياته تلك ، فيكرمنى بمزيد يغمرنى ابتهاجاً، ويقول عن عبد الكريم زهور عدى(١): «كان يتحدث كأنه يمنى خالص، ويفصل الكلام على دور الفن والأدب فى حماية الثورة. عبد الكريم ذو لغة جميلة عذبة ، يتحدث كأنه ينطق شعراً، ووجهه يشع بالنبل، تشعر وأنت تلتقيه أول مرة، أنك تعرفه من عشرين سنة(٢).

كان الشاعر اليمنى المقيم فى القاهرة منذ مطلع الأربعينيات، على أحمد باكثير من أبرز الأدباء الذين التقى بهم الشاعر المقالح فى زيارته الأولى إلى مصر وقد كتب فيما بعد انطباعه عن لقائه باكثير، فقال :«رأيت باكثير لأول مرة فى عام ١٩٦٣م، عندما قمت بأول زيارة للمجلس الأعلى للفنون والآداب فى القاهرة، وكان المجلس فى وبداية انهياره. وكان مسرح التلفزيون يومئذ يعرض لباكثير مسرحية (جلفدان هانم)، كان باكثير مشغولاً بالحديث عنها فلم يعجبنى لقاؤه الأول، وترك فى نفسى انطباعاً مشوشا»(٣).

هكذا عاد المقالح إلى صنعاء بعد زيارته الأولى إلى القاهرة، وهو القادر على تحويل مثل هذه الزيارة القصيرة إلى مدرسة من المدارس التى أثرت فى تكوينه شاعراً وناقداً ومثقفاً بارزاً تأثيراً عميقاً.

بعد مرور سنتين على زيارته القاهرة، شارك الشاعر عبد العزيز المقالح فى رحلة طويلة ضمت وفداً يمنياً رفيعاً، وجالت فى سبتمبر من عام ١٩٦٥ بين ربوع متعددة، وذلك عندما قام الوفد الذى يضم حسن العمرى نائب رئيس الجمهورية والقاضى عبد الرحمن الإريانى الذى أصبح رئيساً للبلاد فيما بعد بزيارة دمشق، ومنها اتجهت الرحلة التى استمرت زهاء شهر ونصف لأسباب يمنية داخلية، إلى لبنان والعراق والكويت وبلجراد وبرلين.

فى بلجراد كان اللقاء الأول بالسفير السورى والشخصية الثقافية البارزة د. سامى الدروبى. «أربعة أيام أمضيتها معه»، يقولها الشاعر المقالح بصوت يتهدج مودة، عندما يحدث أصدقاءه عن سامى الذى سيصبح من أبرز المثقفين الذين عايشهم فى خلال إقامته اللاحقة فى القاهرة، وفى التقديم لمثل هذا الكلام، يقول: «كان القاضى الإريانى من المعجبين به، وكنت قد قرأت كتاب فرانز فانون (معذبو الأرض) الذى ترجمه سامى مع د. جمال الأتاسى من الفرنسية، فعزز ذلك من توقى إلى لقائه».

فى العام التالي، أى عام ١٩٦٦، سافر الشاعر المقالح فى بعثة تعليمية قصيرة إلى فرنسا فكان ذلك فرصة لمزيد من الانكشاف على ثقافة الآخر، ومحاورتها فى مسيرة إعداد الذات على مدارج الأيام، وسرعان ما عين فى نهاية العام نفسه مندوباً لليمن فى جامعة الدول العربية فى القاهرة، فوصلها المثقف الشاب وهو فى التاسعة والعشرين من عمره حاملاً على منكبيه أحلامه الواسعة وذكريات تكوينه المعرفى والوجدانى ، الثرية بترجيع أحزان

كاوية، وعلاقات واسعة مع أسماء يفتح ذكر حروفها مساحات واسعة من الخضرة والرجاء والطمأنينة.

في القاهرة تجدد لقاء المقالح بالأصدقاء الذين التقاهم في زيارته السابقة لها، كما تجدد لقاؤه بالدكتور سامي الدروبي الذي التقاه من قبل في بلجراد، وقد أصبح سفيراً لسوريا في مصر.

كان يوم الثلاثاء موعداً أسبوعياً لملتقى عدد من الأصدقاء الأدباء الذين أحاطوه بجو حميم من الألفة. فضلا عن الدكتور سامي الدروبي، كان صديقه الأخضر الإبراهيمي سفير الجزائر في تلك الأيام. والشاعر عبد الوهاب البياتي اللاجئ من العراق وكوكبة من أدباء مصر ومثقفيها مثل: أحمد عبد المعطي حجازي وأحمد بهاء الدين وصلاح عبد الصبور وغيرهم، وكثيراً ما كان الدروبي يقل المقالح بسيارته من حي «نادي الصيد» الذي يسكن فيه إلى دارته في حي «الدقي» وهذه العلاقة الحميمة والمتميزة بين الدروبي والمقالح لم تتغير مع تبدلات الأيام التي انتقلت بالمقالح من مندوب لليمن في جامعة الدول العربية إلى طالب جامعي يتابع دراسة الأدب العربي منذ عام ١٩٦٨، فقراءته المتكررة لما ترجمه الدروبي إلى العربية من مؤلفات فرانز فانون ودوستويفسكي وبرجسون وغيرهم، تركت في نفسه أثراً عميقاً، وسيجت عواطف الصداقة النبيلة بسياج من الإعجاب الذي مازال يرافق حديثه عن سامي الدروبي حتى أيامنا بمثل قوله: «هو مدرسة في الوطنية، يمتلك لغة عربية ناصعة، فضلا عن معرفته اللغات الأجنبية معرفة مكنته من الترجمة الراقية، التي شهد له بها الكثيرون».

تجدد لقاء المقالح بعلي أحمد باكثير أيضا، فالتقاه في مناسبات مختلفة في عام ١٩٦٧، وقد كتب عن ذلك خواطر وذكريات (٤)، ذكر فيها أن باكثير دعاه إلى منزله ليحدثه عن همومه وذكرياته (اليمنية والمصرية)، فلبى الدعوة التي جمعته بعدد من الأدباء والشعراء الأعلام الذين ذكرهم في خواطره المكتوبة بقوله: «هذا اليوم جمعني بأدباء كبار فيهم باكثير والسحار وعبد الحليم عبد الله، والشاعر أحمد مخيمر، وغيرهم .. كان السحار أكثرهم إشراقاً وبعداً عن الشكوي، أما الآخرون فقد تحول حديثهم .. إلى شكاوى حادة من النشر، ومن ظلم أجهزة التوصيل: الإعلام، التلفزيون، الإذاعة، المسرح، الصحافة، وكنت أعتقد - خطأ - أن المضطهد الوحيد بينهم هو علي أحمد باكثير لأنه ليس من مصر، وإذ بي أكتشف أن مصر قد أعطت باكثير الكثير.. لقد منحه الرئيس جمال عبد الناصر جائزة الدولة التقديرية، وكانت بعض كتبه مقررة على طلبة الثانوية».

كان عبد العزيز المقالح في القاهرة حريصاً على لقاء الأدباء، معجباً بأعلامهم وعطائهم، ومن أبرز أولئك يذكر د. طه حسين الذي كتب عنه بلغة تفيض شاعرية وجناناً إذ زار مكتبه

فى عام ١٩٧٤ بعد وفاته بعام واحد، فاستعاد صورته وكتب يقول: «المكتب الذى كان يستقبل فيه العميد معظم زواره، وقد رأيته فيه لأول مرة بجوار المدفأة التى لم يكن بها آية نار، وشعرت يومها برهبة، لم أشعر بمثلها فى المقابلات التي أتيحت لى منذ سنوات، مع بعض الرؤساء العرب والأجانب.. كان شخصاً مهيباً، متحدياً، حنوناً، غير مغرور.. وكان يمسك بسيجارة فى يده اليسري، وكأنه حريص على ألا تسقط ثم هو يضغط عليها بفمه، وكأنه يعضها بشفتيه، كما يضغط على الكلمات بطريقته المحببة المعروفة»(٥).

دأب المقالح فى القاهرة على متابعة دراساته الجامعية وهو فى خضم انشغاله بالأدب والثقافة وأهلهم، فتخرج فى جامعة القاهرة عام ١٩٧١، ثم نال درجة الماجستير بامتياز عام ١٩٧٤، وفى عام ١٩٧٧ توج عبد العزيز المقالح إقامته فى القاهرة بدفاعه عن أطروحة الدكتوراه فى جامعتها، وبعد ثلاثة أشهر أبعدته السلطات خارج مصر مع مجموعة من المثقفين العرب الذين أبدوا نشاطاً بارزاً ضد مشروع كامب ديفيد، فراح يرتب أوراقه للسفر إلى الجزائر مدرساً فى جامعتها.

عاد إلى صنعاء ليصبح فى الثمانينيات والتسعينيات أحد أبرز الوجوه الثقافية المؤثرة فى مسيرة الثقافة والأدب فى اليمن، ومكث لا يغادر فى سفر ولا يلبى الدعوات الكثيرة التى تصله لحضور مؤتمرات وندوات أدبية تقام فى البلاد العربية وفى أصقاع المعمورة، غير أن عكوفه عن السفر لم يبعد عنه فرصة اللقاء بالمثقفين والأدباء العرب والأجانب، فما شهدته اليمن فى العقدين الماضيين من نهوض ثقافي، وفر له ولغيره من أقرانه وتلامذته فرصة اللقاء بالعديد من أعلام الأدب والثقافة الذين ربطه بهم شرف الكلمة ونبل الأحلام ومنهم د. عبد الملك مرتاض من الجزائر، والشعراء سليمان العيسى وكمال أبو ديب وإبراهيم الجرادى وأدونيس من سوريا، والشاعر جودت فخر الدين والناقدة يمنى العيد من لبنان، ود. عز الدين إسماعيل ود.جابر عصفور ود. عبد المنعم تليمة من القاهرة ود.شكر خصباك ود. عبد الرضا على ود.حاتم الصكر من العراق وغيرهم. وهو اليوم رئيس لمركز البحوث والدراسات فى صنعاء يفتح أبواب مكتبه نهاراً أو باب منزله مساء للأدباء والمثقفين السوريين والعراقيين والمصريين والجزائريين وغيرهم، ويعرف كل من يزور صنعاء من أهل الفكر والثقافة أن مجالسه مدرسة عربية من طراز فريد يفخر كثيرون - كنت واحداً منهم - بأنهم تخرجوا فيها.

هوامش:

١ - ثمة أسباب شخصية لاهتمامى بالموضوع، فقد تتلمذت طويلاً للمثقف الراحل سهيل عثمان الذى تتلمذ بدوره لعبد الكريم زهور عدى قبل أن يزامله فى حقول التربية والمجتمع،



وقد زرع فى نفسى إعجاباً خاصاً به، فضلا عن ارتباط اسمه بمدينتى حماة.

٢ – المعلومات الواردة عن حياة الشاعر المقالح وآرائه، مستقاة من اللقاء الشخصى الحميم به طوال سنوات إقامتى فى صنعاء (١٩٩٧ - ٢٠٠١).

٣– المقالح د. عبد العزيز، بلاتا – على أحمد باكثير ، رائد التحديث فى الشعر العربى المعاصر ، دار الكلمة صنعاء (٢١٠ص) ص٢٣:

٤ – المرجع نفسه.

٥ – المقالح د. عبد العزيز، بلاتا – يوميات يمانية فى الأدب والفن. دار العودة. بيروت.

ملف

البرزخ.. قبل خلط الماء

حسن اللوزى•

ماذا أعددت لكى تتحدى التاريخ
المشحون بأنفاس الطاعون
وتواجه هجمته من كل الأرجاء
كى تنجو مما لم ينج منه الإخوة
والأعداء!!
لحمك أم حلمك
أرضك أم عرضك
دمعك أم قيمك
وزنك أم حزنك
ووجودك أم جودك
وثباتك أم كبوتك
حياتك أم موتك

ماذا أعددت لهذا التاريخ الملعون؟!
أنت فريسة هذا الفك المفتوح بسعة
الأرض العربية..
والمتشعب كالشبهات!
وعلى كل الآفاق المرئية.. واللا
مرئية!

كن أنت
ولا تجعل خطواتك تنزلق إلى
ميقات لا يأتى
أو فى وضبات خارج وقت الناس
وهموم الأيتام الشهداء

• شاعر من جيل السبعينيات. يشغل حاليا منصب وزير الاعلام اليمنى.

وخارج ظمأ الحاجة لعبور الجسر
الممدود إلى الأضلاع السبئية
نحو الإرهاصات الكونية
فى حمأ الصبوات
لتكن أنت الواضح فى مجرى المبهم
ولأنك تعلم أسرار المعراج
فى الطلب القادم فى مرأى عرس الوطن
الداهم
حاك وميض صفاء الإيمان..
حاك الإيمان
فالإيمان يمان
واركض فى آجام الحكمة
فالحكمة منك
والحكمة أنت
لا تسلم أمرك للغيب
لتكن أنت المسك قلم الإملاء
اجعل من غيم الغيب فريستكا
أحبلها لتكن مطراً
واحرث آجام الحكمة
كى تلد الحكمة بيضتها الأبدية!!
وكما أعطيت الشعب مفاتيح الدرب
أعط محبيك حظوظ الإثمار على شجر
الحب
فى وطن الخصب
واحذر من كل سراب يتلألأ أو يتناوم

فسراب الأيام اللزجة لا يرحم
كل دخان يومى لحريق
فكن النجدة
كن الماء المأمول
واحذر من كل شهيق مكسور بين
الخلق وبين شفاه المكلومين!
وارأف بالنبض المحموم بوله
الجندى المجهول
واعلم ما لا تدركه غيمات لا تمطر

ابصر فيما تحرثه غيمات تمطر
زرعك أجن لأمانيك على بسطة
أرضك
لا تتعجل
وانظر ما يتلى من هذا الحلم عليك
عارية حماة هذا الموسم
يغرقها المطر فتطفو كالفلين
ويحاصرها الرمل فتألفها
«الحنشان»
وتحضنها الأتربة فتدخل بيت إياب
الدوْد

والحمأ المكتظ على جافة رغبات
تتلوي
بعض من أسرار البلوي

حلزونيا يصعد سبخ الموسم
يتكوم فى الأفق الرحب المطلق
كى يأخذ شكل النفق المسدود
ويغلق أبواب الصحراء

والصحراء مفاتيح اللغز وفى الصحراء الكنز
قالوا: اقذف للحقل المحتمل هنالك بسؤالك
وانظر ما سوف تري
أنفشه كما يتجلى فى مرآة الحلم
ولسوف تري
الحلم المتفتح والمترامى فى أرض الخصب
لحقول دلقت فى كل مسا
والتآمر فى مجرى محتمل لحشود الحب
مازال يهيئ نفرته فى عمق الدرب
ليوائم بين المتناحر والمتلاقي
والمتجلى فى المكنون الواحد

نجم لبهاء الأحلام المحبوسة فى إفصاح المسند
فى البوح السبئ المشتعل على كل الأرجاء
من هيجان الألف إلى استلقاء الياء
هذا ما يعلنه الماء وبوح الأسماء
وندى إيلاف يتفتق فى وعد منتظر فى عرس الحرية
ليس أمامك إلا أن تتحدى لتفوز بقربان الديمومة
اركض فى أجام الحكمة
سوف ترى أنك مشتعلا بنجاحك تجتاز البرزخ
ووحيداً تمضى لبراح القمة
هذا القارب هل ينجيك؟
هذا القارب هل يعطيك المتناظر فى بعض الجوانى المتأصل فيك
فى معركة قد تفضى للبكنر؟!
كن لفضائك تفضح سوءته
كن لمشيئة أحبابك
ليكون لأمرك ما أنت تشاء
كن لمشيئة ما فيك لترقى فى وهج تجليك
ولتكشف أسرار نبوغك مرات أخرى فى آتيك
لك فى كل بروج الأسماء الذهبية يتهيأ آتيك
ما خفى من الإيحاء هو الأبهى!
طاقية الإخفاء يموهها رمل الصحراء!

قصة

قطع قديم فى معركة بأدوار

هدى العطاس

١ - المعركة

حدث هذا فى عام الوباء..

جهزوها للمعركة ووشحتها أمها بالنصائح، وعندما أغلق عليهما الباب شعرت كأن قد أغلقت عنهما سدة الكون - المعركة - تذكرت ما روشته لها أمها: هو من سيبدأ ويقود تفاصيلها ويضع الخطط للطرفين، واستغربت -! أليست طرفاً مستقلاً بل هى الخصم الحبيب. هكذا صورت معركتهما، ولكن الأم واصلت نصائحها: لا تبدى مقاومة، دعيه ينتصر، هو من له الانتصار .. وعندما سد الكون عنهما، اقترب منها، خفض نظرته إلى السهب الراقد. بدأ يحرث بيديه ينبش يقلب يلكز خيول رغبتها .. لا شيء .. اكتشفت أن سهبها ميت لا حياة فى أرضها. لم ترتعش البراعم لم يتصاعد فى تربتها ذلك الدخان المجنون الذى تحدثوا عنه. إذن كان الموت يرقد أسفلها ولكنها لم تكتشف الموات لأنها لم تحاول تجربة الحياة فيه قبلاً.

أما هو.. لم ينتبه لموات سهبها أو لم يعنه ذلك كثيراً راح يجهز حربته ويلكز ثور

صدر لها « ثلاث خطوات» مجموعة قصصية عن وزارة الثقافة والسياحة اليمنية

رغبته الذى سيقود به معركة حرثه أرضها. ارتاعت!! هل سيشحذ حربته ليغرسها فى ميت؟ وتساءلت لنفسها وهل هذه معركة متكافئة صدى وشوشات أمها يعلو، وحربة الخصم تقترب، وخفضت نظرها إلى آلة حرثه..

وفوجئت. تصلبت عروق عينيها شهقتها انطلقت، المنجل مكسور.. الحربة رخوة. لقد كان ثوره ميتاً أيضاً.

ونزعت جسدها قافزة صارخة ابتعد.. فليذفن كل منا ميته على حدة.

٢ - أدوار

يسبغ الليل لونه سريعاً فى هذه الأرجاء، والشوارع شبه خالية سوى من هسيس بعض المارة، وهدير السيارات رأى جذعها يتهادى كشراع ظل يتابعها ويده على مقود سيارته خيل إليه أن شعرها يعانق الريح ويشاكس الهواء.

قال لنفسه: من زمن لم نعد نرى شعراً جميلاً لامرأة ينتضى الجرأة مع الريح هكذا، بعد أن احتجز الشعر فى غرف المناديل الغليظة - وحين حاذته أطلق من سيارته نداء عاطفياً وأشار بيده يدعوها، التفتت ناحيته باسمه ثم دلفت إلى الداخل، بشت بها عيناه اللتان لونتا بالافتراس ثم سألها عن وجهتها - فردت عليه: أين وجهتك؟ أو ما بيده إلى الأمام، فابتسمت من زاوية شفتيها قائلة: إذن أنت معي،، وضحكا معاً..لهذا الرد!!

ومعا فى غرفته ارتجل ناقة برية تحملت صحارى رغبته المكبوتة.. وبعد فترة ظن أنه قد أبرك الناقة الجموح، فترجل عنها وغرق فى سباته..

فى الصباح أيقظته حرارة الشمس المنبعثة من فجوة فى النافذة المغلقة وحرارة الفراش المتبقية من ليلة البارحة، تثاءب فارداً ذراعيه كفارس عاد من غزوته منتصراً يجر وراءه السبايا.. التفت جهتها فى السرير، ولكنها لم تكن هناك..

واندهش حين رأى طرفاً مطروحاً إلى جواره.. تناوله وارتعش عندما برز من داخله مبلغ نقدى.

٣- قطع قديم

الليل ساكن وعائشة تهادن الفراش..

يطلبها بينما هى حينذاك تقبع فى فنائها الخاص، ينهمر إلحاحه، تراوغ قليلاً.. وحين لا مفر.. تفتح فسحة فى الجسد .. يقتعد بساطها، يخال أنها أخذته بعيداً بعيداً، حين يعود يسألها عن الرحلة: لا تحير جواباً، يبرطم تسمعه يلعن وينهر شيئاً ما،...

يأتيها بأعواد الكزبرة يقول: فلتتزودى للرحلات القادمة.

أمام المرآة تعتلك العيدان كل يوم، تراقب عينيها الذابلتين ، فى المرآة وذاكرتها المنعكسة فى عينيها.. حكى لها صغيرة كانت لحمة حمراء، أم صابر تقترب منها. تباعد بين فخذيها النحيلين المعطوفين على سر الأسرار – كما قيل لها – وترياق الجنة والنار، تسبق الصرخة النصل (يبقبق) الدم وترمى تلك الشريحة الصغيرة جداً من لحم الجسد.

المرآة تعكس ذبول عينيها، وأعواد الكزبرة تؤكد ذبول وردتها، وتتحرش سرها للبوح. هو يقرب والفراش يتلظى وعائشة تخيط نشوتها العصية، تلكز بساطها عله يطير، تهسهس: ما أصعب الليل.. وحين أراد الارتحال أخذته كعادتها وسألها بعد أن عاد – كعادته – هرشت ألمها .. تلعثمت..

استنجدت بجدتها.. نادت : ياشهرزاااااد.. تلبستها الحكاءة استغفرت برهة لكذبتها ومنكسرة الروح انهمرت تحكى تصف.. تسهب .. وتراقب تقاطيع وجهه المنتشية، قالت وقالت.. حينما رأت أجفانه وقد أطبقها النوم ملتاعة أخذت تتحسس بأصابعها البقعة المقتطعة فى بساط الريح.

ملف

لا شىء يومض فى هذه المدينة

خالد الرويشان

رائحة غريبة تملأ المكان

المكتب بسيط وعتيق، أوراق متناثرة، أزهار صناعية فقدت ألوانها، نسيج عنكبوت فى إحدى الزوايا أثقلة غبار متراكم. «راديو» عجوز قابع على طاولة صغيرة لا يبدو أنه نطق منذ سنوات، على الجائط صورة تكتم أنفاس المكان، مرسومة بالرماد، تمثل كائناً متعدد الرؤوس والذيول، فى كل رأس عدة عيون، وكل عين ترى فى اتجاه.

بتثاقل، فتح درج مكتبه، أخرج أوراقاً وضعها أمامه، فتح درجاً آخر وأخرج ختماً وضعه بعناية، أصابعه الرشيقة تشرع بفرز الأوراق.، يرفع وجهه بحركة حذرة، أتأمل الوجه فتلمع بروق الذاكرة .. أعرف هذا الوجه! أعيد التحديق، إنه هو، لا شىء تغير فيه، فقط هزة الرأس الآلية تلك كأنها تعمل بالزنبرك. كما أن عنكبوت الزمن قد نسج تجاعيده على ملامح الوجه، الذى كان يوماً، طافحاً بطفولة الأحلام، ومنعماً بشباب المواعيد.

الأصابع الرشيقة ماتزال تعمل بدقة وحرص، ومرة أخرى، تلمع بروق الذاكرة من بين

- وزير الثقافة اليمنى صدرت له لع مجموعة قصصية تحت عنوان «الوردة المتوحشة».

تلك الأصابع، وتتطاير حولها ذرات الطباشير الملونة.

كانت الحصة الأولي، وكان أنيقاً كعادته. بدا جاداً متجهماً، اتجه صوب السبورة، ورسم دائرة كبيرة وأخرى صغيرة ثم ثالثة أصغر. لون الدوائر بالأحمر، والأخضر، والأصفر.

كتب بجانب كل دائرة على التوالي: الشمس، الأرض، القمر. التفت إلى تلاميذه، واجههم صامتاً. تحول تجهمه إلى ما يشبه الحزن.

– «تعرفون ما حدث البارحة»

قال وهو يتقدم خطوة إلى الأمام

– لقد كان مجرد خسوف عابر. أضاف وهو يشبك أصابعه الملونة. وابتسمت السخرية على وجهه وهو يقول: «لم يلطمه أحد. ما حدث، هو أن ضوء الشمس حجب عنه لبضع ساعات.. وكما ترون هنا على السبورة».

تذكر التلاميذ ليلة الفزع الفائتة. فما تزال أصوات الرجاء بالدعاء فى آذانهم وهى تطلب الرحمة للقمر الجميل الذى أمسى فجأة قاتماً كرغيف محترق.

ليلتها، لم يبد أن القمر اهتم أو حتى سمع نحيب النساء والأطفال يشق صمت الليل البارد. كان مشغولا بنفسه، فأثر اللطمة واضح على وجهه!

ولم يكن أحد يعرف سبباً للعقاب الذى أنزل عليه.

بيد أن «سيدنا العزى» قال إن خطيئة ما كان قد اقترفها القمر، وإن اللطمة هى العقاب. كان ذلك هو ما حمل المدينة على التعاطف مع القمر الذى يدارى وجهه بين السحب خجلاً وحزناً. لكن المدينة تراه. شاء أم أبي. تراه وتشفق عليه، وتدعو له. ولقد سفحت من الدموع ما يكفى لأن تغرق فيها خطايا القمر والأرض معاً.

*وينتصف ليل المدينة، وقمرها مايزال فى دياجير محنته. وبدا أن الدموع تبخرت فى فضاء من اللامبالاة، وأن بكاء الأمهات وصراخ أطفالهن تبدد فى آفاق من اللاجدوي، ويقترب القمر من سحابة كالجبل الكبير، فتطويه فى غياهبها، وحين يغوص فى جوفها ، يغوص قلب المدينة فى جوف الفزع الأسود.

وتقلب المدينة وجهها فى سماء الصمت، باحثة عن قمرها المغيب، فلا تزداد إلا

شعوراً بالحزن والفجيعة، وتترقب الأعين سحابة الظلام على القمر يخرج من بين أعطافها فلا ترى بارقة ضوء.

بح صوت المدينة، وتعبت عيناها ترقباً ولهفة لقمرها المكتمل بوجهه البهى الساحر. وتناقلت الألسن ما قالته العمة «سعود» من أنها تسمع تأوهاته وهو يجلد خلف تلك السحابة.

وفجأة أطل القمر، كان مكتملاً. ولكنه كان ملطخاً بالرماد. وما يزال معتماً. ولم تنم المدينة، بل ظلت شاخصة بأحداقها المتعبة صوب قمرها راجية عودة سناه، واكتمال بهائه.

الأصابع الرشيقة ماتزال تعمل بدقة وحرص، وبروق الذاكرة ماتزال تلمع من بين تلك الأصابع، وعنفوان ضحكته يضج وهو يجرى خلف الكرة، ويجرى خلفه التلاميذ فلا يدركونه، ويزوغ بالكرة ويتراقص أمامهم فلا يتعب ولا يتعبون.

فى تلك الصباحات المشرقة، كانت وعود صوته الندية تنثال فى حوش المدرسة الواسع، وهو يرتجل كلمة الصباح، ثم يجلس إلى «البيانو» الأخضر الصغير ليعزف نشيد بلاد العرب أوطانى، ولتعزف معه قلوب وأكف تلاميذه.

مايزال الوجه منكفئاً، أتأمل صورة الكائن متعدد الرؤوس والعيون والذيول فتحتلنى الوحشة، وتصفق فى صدرى أجنحة الخوف. كائن مرعب، متورم بالكراهية، وعيونه تنطق بالصمم.

أنظر إلى الوجه المنكفئ أمامى، فألمح قطرة عرق تتكور منحدرة من عارضه الأيمن، وأمام شحمة أذنه تقف حائرة لبرهة.. ثم تواصل انحدارها لتمتصها ياقة القميص. يبدأ فى إمضاء الأوراق بعد فرزها ، يختمها بالخاتم الحديدى الكبير. يضع الخاتم متبرماً، ويحاول أن يتنفس فلا يستطيع، كأن المكان محتقن بغاز الضيق، مزدحم بالأشباح والكوابيس.

الرائحة الغريبة تملأ المكان، شعور جارف بالاختناق يسيطر على كل شىء.

وفجأة يهتز الحائط يرتعش الكائن المرعب، تهتز الرؤوس وتتحفز الذيول. أحاول أن أصرخ، تتلاشى الصرخة وسط أنفاس الخوف والترقب. تنقض الرؤوس والذيول على



بعضها . تسقط رؤوس تعلو ذيول. تعلو رؤوس. تسقط ذيول. قهقهة كالعويل ترج المكان.

يتناثر الحبر الرمادى من جسم الكائن المرعب. يعود المكان فى بحر من الحبر الرمادي، تطفو رؤوس وأنياب مهشمة، ينساح الحبر من النوافذ . تسقط شلالات الرماد فتغطى الأرصفة والطرقات. أخرج هارباً لأجد أن سماء من الرماد تطبق على المدينة. كائنات رمادية تقبل وأخرى تدبر.

الرماد عالق فى النوافذ والأبواب والعيون، العتمة تسد الجهات الأربع. لا شىء يومض فى هذه المدينة. وحدها تلك الأصابع الملونة ماتزال تبرق فى مغارات النفس، وحنايا الضلوع.

شعر

كأنا نتمشى فى أصابع خائفة

علي دهيس●

كأنا مرتبكون..
أم....؟
فقط نحن نحتك
بالأشياء
مجرد إثبات
لقلب
الأرض
أن ثمة من
يحاول سماعه

الدوائر المغلقة
بالضرورة هى عبارة عن وجهة
نظر
فهى – مثلاً – فى الوجهة الأخرى
غير مغلقة.
وفى الثالثة......
فى ال... قابلة للكسر.

قراءة الأنهار
ربما ليست تماماً
مثلما
هى وجهة نظر ظمأ وارتعاش
أصابعى.

الأشياء قد لا تكون هى الأشياء تماماً
كما هى فى الطرف الآخر

فثمة

● شاعر من اليمن

الطير؛ والطير الآخر
الينبوع؛ والينبوع الآخر
الشجر؛ والشجر الآخر
الحب؛ والحب الآخر
الشعر؛ والشعر الآخر
الله؛ والله الآخر.
لم يأخذ قطعة
طبشور
ويكتب كلمة واحدة.
كذلك لم يضع الله
أصبعه على زر الخلق
لطبع نسخة
واحدة.
فلماذا إذن يطلقون الأسماء
على كل شيء.
قد يكون العدم مكانا جميلا
هناك
قد يخبئ زاوية مأمن
من شراسة الحضور الزائف
وضراوة ارتباكى.

ليس لى أن أقرأ «تاريخ الجرح»
ما بمقدورى
أن أفعله
الآن
هو أن
أخبئ - بعناية - هيكلى الصغير
تحت سترة صمت
مدو
أن أحاول جمع أجزائى
لأتذكر مشاهد الحرائق
لخطو الولد الملفوف فى فزاعة أيامه
الولد الواضح
حد غموض الطريق
وغبش المسافة
أن أكتحل قبل.......
بغرقى فى حسد (الراعى)
وربما أزداد حسداً
لبطل النوم ذى الكسل العظيم.
أعنى جارنا الذى يدعى
استخراج (العفاريت) من خنصر
القدم:
وفهمه لغة الطير
فيما هو يعى جيداً «لغة الناس».

هل أكون كثيرين..؟
حاولت ألا أشابه أحد
غير
أن الكتب التى قرأت تشير
الى الآخرين.

شعر

التميمة

نبيلة الزبير●

فى الفسحة التى اختارها النهار،
ليغازل قطته،
يحكم إغلاق الشرفة
كامنا يتقد وجهك، ينفث إلى سجادة النسوة
تميمة العازف على صعيد كرامة أولى
يتوافد العشاق من كمائن الوصل،
تنفك عن أعناقهم الأكاليل المنسية،
يطلقون – لوجه الحب – سراح ورود أحبائهم
يبتكرون زهرة، يبتكرهم مواؤها..
وأخيراً.. يغرب الانتظار...
تتفتح الشمس خمس مرات كى تندس فى فراش حبيبها فلا
يلسعه البرد..

يحكم إغلاق فمه

● شاعرة روائية صدر لها «إنه جسدى» رواية و«ريثما ينتهى أحدهم من العبور» ديوان شعر حصلت عن روايتها «إنه جسدى» على جائزة نجيب محفوظ فى الرواية

يتوافد قطاع الشوق، علك بين أولئك الذين ينتظرون كابينة إضافية..
هل حضرت آخر عروض السحرة لمعجزة الراكعات من النخل والطير..
تصغى إلي..
دائماً أنت تمضى على حبل صوتي
إلى أخمص الصمت
تبقى الجداول مسدلة..
تنسى أن تربت فوق مدامع نافذتي.
لا يردك حجر الليل.. لا يجئ إلا بحجر ذاته الخالصة،
لذا ينبجس العطر،
تسبح الأمشاج: لا بورك فى عود أخضر لا يحمل قربانه
لصباح القصيدة..

بدونك أسكن جسدى كله..
اعترف بأنى أضعف أحيانا، أحلم أحيانا بالحجر الأكثر
تعطشا لقهوة عيني..
لا أخوان .. لا يعترف حجرى إلا إنه كل يوم غيره.. وأنني
كل يوم أكثر تدفقا فيه..
جرب أن تطفئ شمعة الليلة السابقة، المرأة السابقة
لا تذهب إلى أى نجار لتصقل نخلة، ارفع رأسك إلي
سعف القبس .. ثم...
ثم...
ارجع البصر..
تؤمن بالحب الأعمى..؟
لست أدرى بماذا أحبك..!
جل جلال الظلام
لك معاقلك تحكم إغلاقها
ولى حجرى

شعر

ما تيسر من رعشة الخوف

إلى روح الشهيد الصديق جار الله عمر

د.عبد العزيز المقالح●

-١-

صاحبي
لم أجئ لوداعك
مـــا جـــئت - والدمع فى العين
مشتعلا -
للبكاء عليك،
لكننى جئت يا صاحبي
لأهنيك.. إذ أنت بالموت عشت
اختزلت زمان الرماد
وحققت معجزة الخالدين.
حين حط الرصاص على القلب
واستقبلتك ملائكة الله
واستيقظت من سبات المنية

-٢-

عيناك،
قمت
وقامت قيامة أعدائك الأغبياء،
استقام اختيارك
واكتملت بالشهادة رؤياك..
أورق فى دمك الحب
وانكسرت موجة
فى دم الحاقدين.

● أحد رواد القصيدة الحديثة فى العالم العربى، الرئيس السابق لجامعة صنعاء والمستشار الثقافى لرئيس الجمهورية اليمنية، صدر له عدد من المجموعات منها «لابد من صنعاء» و«رسالة إلى سيف بن ذى يزن» و«الخروج من دوائر الساعة» و«أبجدية الروح» وغيرها

-٣-

كان أكثرنا ثقة بالبلاد
وبالناس،
أكثرنا خبرة بفصول السياسة
يدرى بأن الرياح تهب
لكى تكنس الورق المتساقط
فى الردهات
وفوق المكاتب،
أن الخصوم رجال
وليسوا ذئابا
تحركهم شهوة القتل
والكره للآخرين.

-٤-

انتظرناك..
كان الصباح جميلا
وكان الندى يتشكل فوق الجبال
عقودا من اللؤلؤ المرمرى،
وورد المقيل يداعب خد الظهيرة،
والشمس فى أوج زينتها..
فجأة يغمض الضوء أجفانه
يهبط الانطفاء قليلا
قليلا،
وتنشج حنجرة بالبيان الحزين.

-٥-

حين قالوا: رحلت عن الأرض
أمسكت من هلعى بالفراغ
ظننت الفراغ أخى
والدخان زميلى،
وصليت حتى أتى النوم
كيما أراك، وأسمع صوتك..
أقرأ - فى غفوتى -
ما تيسر من رعشة الخوف
أغسل دمعى برائحة الياسمين.

-٦-

هل رأيت جبالا تموت
سماء تغور إلى قاعها
وفضاء يضيق بألوانه
وسحاباته
وقناديله،
وحقولا تغادر وديانها
وفراشاتها؟
هل رأيتم نهار اكتوى صاحبي
بالرصاص،
وفى دمه
كان حلم البلاد
- ولا عاصم اليوم-
كنا جميعاً من المغرقين؟!

-٧-

من ترى قتل الورد
أزهق روح الحدائق
أفتى بموت الينابيع؟
من فتح الظلمات بنار مسدسه
وأعاد ارتعاش الظنون

وخيط الوساوس؟
من أيقظ الإثم
واجترح الصمت والدم
فى ساحة الكلمات؟
ومن أرهب الضوء والسنبلات..
أحل دم المؤمنين؟
ذات يوم
حلمت بنهر
إذا لمسته الأصابع
أو شربت ماءه أعين الحاقدين
استعادت براءتها
ونقاء سريرتها..
أين نحن من النهر؟
فى أى قلب
أخبئ أحلامك المورقات
واكشف عن ظمئى،
وعلى الأرض (قابيل)
يقتلنا،
ويطارد أرواحنا
بامتداد الزمان اللعين؟
آه يا صاحبي
لم أجئ لوداعك
أو لمديح خصالك،
لكننى جئت أبكى المحبة
والشعر..
لما رحلت تخثرت الكلمات،
تبدل ماء الحروف
وفاض دماً
وكعادته – حين يحزن –
أخفى انكساراته الشعر
وأرى عيون قصائده،
فى جفون الملائكة النائحين!

ملف

ماتيسر لحلم

«تكمن وراء البرد

الذاكرة الصدئة ورائحة الموت»

سمير عبد الفتاح

● اليدان المتفرعتان من الجسد الضئيل تنسكبان بصمت في الفراغ وتحطان على أحد قرصى خبز موضوعان على الطاولة وتقسمانه إلى جزءين غير متساويين .. وبعد أن تلف يد الجزء الأكبر من قطعة الخبز بورقة جرائد وتضعها في جيب السترة تقسم اليد الأخرى قطعة من الخبز من الجزء الصغير ثم تغمسها في كأس الشاي، وتقطع اليد المسافة بين الكأس والفم بهدوء.. وتعاود اليدان أخذ قطع صغيرة من الخبز وغمسها بالشاي.

العينان المحدقتان في الأمام بدون تحديد تدخل الخبز وكأس الشاي والطاولة الحديدية القصيرة ضمن الصورة، الجزء الأكبر من الصورة – أمام العينين – احتلتها أرضية المقهى الواقع في زقاق مقفل من أحد طرفيه وتحتل جانبيه مطاعم شعبية.. العينان تهتمان بالخبز والشاي بمقدار ارشاد اليدين إلى مكانيهما

– صدر له «رجل القش له به الذاكرة» إداعات يمنية ، ٢٠٠٦

وتنحدران للأسفل بحثاً عن تفاصيل غارت في الذاكرة منذ زمن بعيد.

تتحجر الصورة واليدان تعاودان تقسيم الخبز إلى قطع صغيرة وغمسها في كأس الشاي .. وتعود الصورة للحركة مع تأكد اليدان من فراغ ورقة الجرائد من الخبز ومن وضعية الجزء الأكبر من رص الخبز في الجيب.. فينهض الجسد وتتضح قامة الجسد القصيرة، يميل العنق للأسفل دافعاً العينين للاكتفاء بتحديد بضعة أمتار فقط أمام القدمين ليحرك الجسد خارجاً من المقهى.

● اليدان المتهدلتان تعبران الزقاق المقفل من أحد طرفيه، القدمان تأخذان مسارهما بخطوات هادئة رتيبة كأنهما تنطبقان على مكان خطوات الأيام السابقة.. أمام المقهى تنعطف القدمان يميناً وتدخلان في كوة المقهي.. وبدون حوار يوضع أمام صاحب الجسد الضئيل - على الطاولة المقابلة لأواني صنع الشاي - كأس الشاي فتمتد اليدان المتهدلاتان وتحملان الكأس الممتلئ بالشاي الممزوج بالحليب، أصابع اليد اليمنى تحمل الكأس من الأعلى وراحة اليد اليسرى تسند الكأس من الأسفل .. القدمان تختاران طاولة الزاوية البعيدة الواقعة في مدى عين بائع الخبز الذي يتناول من الطبق أمامه قرصين من الخبز ويضعهما على الطاولة الحديدية أمام صاحب الجسد الضئيل ونفس اللغة الصامتة تحكمهما.. فيمد صاحب الجسد الضئيل يديه ويقسم أحد قرصي الخبز إلى جزءين غير متساويين، يضع الجزء الأكبر في جيبه بعد أن يلف قطعة الخبز بورقة، والقرص الثاني والجزء الصغير من القرص تقطعهما اليدان وتغمسان القطع في كأس الشاي.. والصور التي تتأملها العينان محصورة في الطاولة الصغيرة، وأرضية المقهى، وتفاصيل الذاكرة القديمة.

● الشمس تتخلص من قيظ الظهيرة.. بائع الخبز يرتب أقراص الخبز على طاولة كبيرة أمام المقهى في الزقاق المغلق من أحد طرفيه .. عامل المقهى يحمل الأكواب الفارغة إلى داخل كوة المقهي، ثم يمسح الطاولات الحديدية من بقايا الشاي الذي انسكب من بعض الأكواب.. المطاعم الصغيرة التي تجاور المقهى تغلق أبوابها بعد انتهاء موعد وجبة الغذاء. زبائن المقهى يتغيرون باستمرار باستثناء حوار طويل بين شخصين.

عينا بائع الخبز تنكسران قليلاً مع لمحة للجسد الضئيل والوجه الملئ بالتجاعيد يدخل عبر فتحة الزقاق بخطوات هادئة رتيبة .. وبعد أن يمر - صاحب الجسد



المتهدل – من أمام يتبعه بعينيه وهو يدخل كوة المقهى ، وينتظر حتى يخرج ومعه كأس الشاى ويجلس على الطاولة البعيدة فيحمل قرصين من الخبز ويضعهما أمامه. اليد تضع الجزء الأكبر من أحد القرصين فى الجيب ليكون وجبة للعشاء.. بينما بقية القرص والقرص الثانى مع الشاى يشكلان وجبة الغذاء.

● الحركة داخل الزقاق المقفل من أحد طرفيه تبدأ بالانحسار مع اقتراب الظهيرة من الانتهاء.. أقدام شخصين تقطع المسافة بين أحد المطاعم والمقهى لشرب الشاى .. صوت إغلاق أبواب المطاعم تتوالي.. الشمس تنحدر عن المقهي، صاحب الجسد الضئيل يظهر عند بداية الزقاق.

● البرد القادم على عجل يحيط بالجسد الضئيل.. البرد الذى غطى الجو برداء أبيض يردد بأنه لا مكان اليوم لاقتطاع جزء من قرص الخبز للعشاء وصاحب الجسد الضئيل يعبر الشارع باتجاه الزقاق المقفل من أحد طرفيه.

شعر

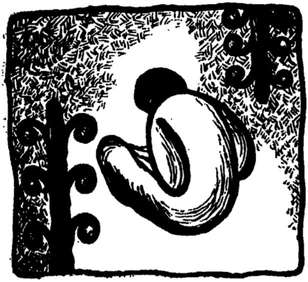
بلا عنوان

د. عبد الولى الشميرى

أأذوق من شفتيك يا حلمى عسل ... كم بت مشتاقاً لثغرك والقبل
أأموت من ظمأ إذا لم ترحمي ... قلبا تحطم فى هواك وما وصل
إنى ذبحت الصبر فيك وربما ... حبى تفجر عندما فقد الأمل
وغدوت مجنوناً أهيم صبابة ... وغدوت مقتولاً فراقك لى قتل
ولربما فى ضمة بعجالة ... ألهبت أحشائى بلقيا فى عجل

أنت الحياة جمالها وسرورها ... ولأنت فى عينى الثريا والزحل
ولأنت فى حلمى الأنيس وفى دمي ... جمر توقد بالمحبة واشتعل
قدست فى عينيك معبود الهوي ... ورأيت كيف الله أبدع فى المقل
ناح الهوى لما سفحت مدامعى ... والشوق يفضح من يحب مدى الأزل
أنا ما ركبت البحر يوما هائجا ... إلا إليك وأنت بحرى والرمل
والكامل المجزوء يزهو كلما ... سخرته لهواك أشرق واكتمل

فسلى وقد حدثت عنك دفاترى ... وحروف أقلامى وجامعة الدول
إنى أسيرك صائماً أو مفطراً ... حدثت عن عشقى الأواخر والأول



إن كـــان حـــبك زلة وجـــريمة — يا حـــبــذا تلك الجـــرائم والزلل
ضـــاقت بى الطرقـــات يوم فـــراقكم — وذهبت أخلط بالرثاء مع الغـــزل
وأكـــاد أصـــرخ فى المنابر كلهـــا — باســـمى وباســـمك لا أكل ولا أمل
مـــاذا يقـــال.. لقـد سكرت صـــبـابة؟ — وثملت؟ مـــا أحلى الصـبـابة والثـمل
إنى رأيتك فـى المنام ســـحـــابة — والشمس تجرى حول خصرك والكفل
ورأيت أوراق الحـــرير تـغـــار من — خديك فى حـســد ويقـتلها الخـجل
فـــإذا أذنت بنظرة فكأنما — فـــرجت غـــمـــاً لا أطيق له ثقل

يا رب أنت بحـــبـــهم أضنيـــتني — فـامنح فـؤادى من أحب ومـا سـأل
عـدلاً وفـضـلاً منك لا مـتـبـرمـاً — إنى بما ترضى رضـــيت ولا بدل

شعر

تحولات الأسفلت

هدى أبلان●

ينفتح طريق...
تراب يدينا على جانبى الحنين
انشقاق الروح نردمه بركضة جريحة
تلويحة نفئ إلى ظلها كى نشتعل
وجهنا المنكمش برنين دمعة عليه
المنفك حين نصليه بليل الكتابة

طريق مرصع...
فى سقفه غيمة الله تتهدج آية البوح
ينحفر نشيج خافت فى آخر اليباس
نزخرفه بقصيدة آيلة للقطف والماء
ترتب بيتاً من القطرات
تودع فيه خفقتها كلما حل عراء الذبول
وتغسل جلدها كلما اغبرت رائحة الوقت

● رئيس اتحاد الكتاب اليمنيين، صدر لها «محاولة لتذكر ما حدث» ديوان شعر

طريق مرصع بمر...
نفرش حرقة الآهات
نستند إلى وجع فى حفرة القلب
نرشف أغنية حامضة
نمضغ خبز ضحكة لن تجئ
ننفى المرارات إلى ذاكرة الغد المغلقة
وننثر دمنا الحلو فى كل الجهات

طريق مرصع بمر وبرد..
تصطك المسافة
يدثرنا من قارس الخطوة المفردة
يقذفنا إلى عيون أمهاتنا
يقربنا من حطب القلب
يشتعل فتيل آهة فى البارد من شرفة الليل
تنفلق جمرة الصباح
تصحو أحلامنا القادمة

طريق مرصع بمر وبرد وحصي
ترتج الخفقات الذائبة فى قلب الرمل
نحط على زجاج اتقادها الجميل
يظهر فى انكسارها وجوه من نحب
ويزهر الفائض من ملامح الغياب

لقطة جانبية!!

محمد القعود●

جولـــة

قرر الفقر ذات لحظة أن يتنزه فى شوارع المدينة..!
لكنه سرعان ما عاد بعد لحظات وهو ينشج بالبكاء:
- المدينة مملوءة بآثامى..!!

تشجيع!

أوقفنى شرطى وقال لى:
- غن لى عن الحرية..!!
- أنا لا أعرف كيف أغنى يا سيدى..!
- إذن ستغنى هذه العصا
وانهال على ضرباً حتى رقص صوتى على غناء جسدى!!

● من مواليد مدينة تعز المشرف الثقافى بصحيفة الثورة منذ عام ١٩٩٠ صدر له «كتابات بلون المطر» و«هتافات الخيبة» و«فى مهب الحنين مختارات شعرية» وغيرها

ذكاء

● سألنى مخبر غبي:
- يا مواطن .. ما رأيك فى الشمس..؟!
- إنها تقتل الجراثيم .. وتبيد الظلام.
قال مندهشاً كمن وجد ضالته:
- إنك تعرف وظيفة الشمس الحقيقية، وهذه أسرار خطيرة تضر بأمن الدولة..!!

اكتشاف!!

● كلما كتبت قصيدة، أقرأها لصديق طفولتى..
عندما أسمعته قصيدتى الأخيرة نظر نحوى باستخفاف قائلاً:
- إنها تافهة.. مازلت تتحدث عن الحب والحلم والحرية.. يا غبى ألا تعرف كيف تصفق .. جرب حتى تصبح عظيماً..!!

مشاعر

● سألنى مسئول بدرجة لص خطير:
- أتعرف البكاء!!
- حياتى كلها دموع.
- رائع .. هذا ما أبحث عنه.. أنا سأمتص دم البسطاء وأصادر أحلامهم وطبعاً معها طعامهم وأشياؤهم الثمينة وأراضيهم الخصبة.. وأنت تؤدى مهمتك.
- ما هى أيها السيد المبجل..!!
- أن تبكى على ما أصابهم نيابة عن مشاعرى الرقيقة!!

شهيد

الشرطيان كانا لا يسمحان للضيوف بالدخول إلا ببطاقة الدعوة.
فتشا أحد الأطفال بدقة حسب مقتضيات الإجراءات الأمنية .

ظن الطفل أنهما يداعبانه فأطلق كركراته البريئة.. فتهاطل المخبرون من كل زاوية وألقيا القبض عليه بتهمة الشغب وتعكير أجواء الأمن العام!!

وبعد لحظات من الواقعة جاء رجل يحتل منصباً مهماً وبرفقته ثلة من الحرس.

أدى المخبرون والمكلفون بالأمن تحيتهم للضيف المهم وكل يقول بتملق:

– تفضل يا سيدي.. أهلا سيدي.. كل عام وأنت بخير يا سيدى..!!

خطا عدة خطوات فى الممر المؤدى إلى الباب المفضى إلى قاعة تكريم الشهيد الذى ووري جثمانه قبل أربعين يوماً.

ما أن وضع الرجل المهم أقدامه على عتبات باب القاعة حتى ثار الباب وانغلق على نفسه قائلاً بصوت محتج:

– ممنوع دخول الأوغاد!!

جريمة!!

صرح مصدر مسعور بأن كلاب أحد المسئولين قد تعرضت لهجوم غاشم بالأحجار من قبل أحد المتسولين الذى كان يبحث فى برميل القمامة عن مخلفات طعام يسد بها رمقه.

مما دعا الكلاب للريبة فيه والانقضاض عليه.

وبدلا من الاستسلام لها والخضوع لأنيابها التى حاولت بكل لطف أن تتحقق من هويته الشخصية وتواجده بجوار برميل القمامة الموضوع بجوار منزل المسئول. قام المتسول المشبوه بتسديد احجاره نحوها محاولا إخفاء مهمته الحقيقية.

وقد ألقى القبض على المتسول ويجرى حاليا فى الجهات المختصة غسيل لمعدته لمعرفة أبعاد المخطط الإجرامى!!

شعر

يحدث فى النسيان

علي المقرى

جثة النصر

يهتكون النسيان
بحثوا عنه فى الهيبة
صرخ أقل من رصاصة:
– أنا لست قميص الشعب
أو حذاء الدولة
لكنهم تحدثوا عن تفاصيله
كأنه جثة النصر
كأنه ليس هو
كأنه كأنهم
كأنه كان

نسينا الكلام

جئنا على حرب، فى ليل يتراكم
فوق بعضه الذى هو نحن
قطعنا الأسفلت ومضينا فى طريق
سيل خطواتنا إلى جهات تسطع
بالعتمة وهى تحترق بحطب الأوهام
وزيت العادة.
نمشى حيث لا نمشى
كأننا عرفنا الحرب أول مرة
أو عدنا من موتٍ توغل فى أصواتنا
نحن الذين كنا قد نسينا الكلام
نتحدث بصمت صافر(١)

١ - صافر: طائر يصفر ليلا خيفة أن ينام فيؤخذ ومنه المثل هو أجبن من صافر (المنجد)

كى لا نتفهم بالصمت أو بالكلام

صرت أشبه الذى هو أنا

أنا الذى هو كنت فى المرآة
لم أكن أنا الذى كنت هو خارجها
استسلمت للمرآة
أنا الذى هو فى خارجها
هو الذى أنا فى داخلها
صرت أشبه الذى هو أنا

٢٠٠٢/٨/٢٠

ثم قال

جاء قبل أن يحدث ما حدث
وكان يظنه ألا يحدث
ما حدث حدث فى حضوره
أحداث كثيرة، قال قد حدثت من قبل
لكن ما حدث هذه المرة لم يكن قد حدث
لقد حدث فى حضوره.
ثم قال:
هكذا، حدث ما حدث..

حدث ما حدث لأن هناك من تذكر ما لم يحدث
....
....
....
ما لم يحدث كان يحدث فى النسيان

٢٠٠٢/٥/٢١

أنام بدون عكاز

أنام فى النهار
اصحو فى الليل
أنام فى الصحو
اصحو فى النوم
هكذا، أكسر الأزمنة من عضدها
أكسر حاجتك إلى،
حاجتى إليك،
لنبلك العالى
وانضباطك الرفيع
أكسر النهار من ساقه
وأنام بدون عكاز الغد

٢٠٠٢/١/٢١

شعر

من مذكرات ضحية

عبد الرحمن غيلان

بعت أساورى
لئلا أكن أرملة

....

أضعت ربيع العمر
لتبقى بلا خريف

....

حين بكيت
غسلت روحك
وحين ضحكت
أحسست بالخواء

....

كسرت كؤوس الفضيحة
لتضيع تهمتك
فى مزبلة الشارع

....

حين ضعت وجدتك
وحين أضعتنى
لم أجدنى

....

أزحت ستائر القلق
لتتوحد بنا العتمة

....

جرعت كؤوسك
لتتوازن كرة عاطفتك
قلمت أظافرى
لتشعر بالأمان

....

حين تحسست بقايا قدرى
لم أجدك

حتى منفضة سجائرك
تشبهنى

شعر

مقاس عربى

سوسن العريقى●

فى اصطخاب المساء
بعروق من الضحك الفضى
ألملم المسامات النائية
عن هيكلى المتوارث
أرميه بوابل من الصراخ الراقص
يتساقط الألم المتفجر
شهقة..
شهقة..
أدخل فى كينونة الحلم الممتد
براكين ضوئية فى
دهاليزك

لكنى أتعثر بأزمنتك الظامئة
إلى إعادة صياغتى على مقاسك
أتعثر بقامة رجولتك
التى تجلدك
قبل أن تجلدنى
لذلك،
ألوذ بالمسافات القريبة من بوابة
النسيان
أتكوم ضوءاً يطهرنى من مياهك الآسنة.
استعيد أنفاسى
ألملم ما تبقى من حواسى

● شاعرة من اليمن
● عضو اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين
● لها مجموعة شعرية بعنوان (مربع الألم)

أستفيض نداءً متوسلاً
لمحكمة القلب الطينية
أن تنقى دمى من سطوة
خلاياك
ألجأ إلى تمرينات التنفس
كى أطلقك من صدرى
دمعة..
دمعة..
أتكدس فى الركن القصى من ضوئى
الذى لم تصل إليه نجومك
أخاتل الصمت المنبوذ فى أضلعى
....
....
أشعر بالوحدة....

أتلذذ بطعم الإعادة..
....
للذاكرة ثقوب إسفنجية
حينما تمتلئ بالضوضاء
يظل مرجعها أبديا.

أتهجاك
أدخل مرة أخرى
فى كينونة الحلم الممتد
برأكين ضوئية فى دهاليزك..
لكنى هذه المرة
لا أتعثر
إلا بظلى الأعمى
الذى يسبقنى إليك..!

شعر

تتدحرج عملة فى سلم النفق

أحمد السلامى

لأنك فى طريقى
سأحاول أن أحبك
مثل أى شخص رومانسى
وربما مثل أى رجل
وحين تبتسمين لى كالعادة
سأخدع نفسى
أظن أنك أحببتنى أيضاً
وحين أحاول أن أكلمك للمرة
الأولى
ستعرق جبهتى
رغم أننا سنتحدث عن العولمة
وربما عن حوار الحضارات

سأتجرأ وأدعوك لتناول شىء ما
فى مطعم به جناح خاص للعائلات
ستعتذرين بأدب وتبتسمين لأول
قادم باتجاهنا
سأحاول أن أحبك مجددا
استعير لك كتاباً من المكتبة
سيكون عن كيفية الحوار بين
طرفين
ستعيدين الكتاب بعد فترة
وتذهبين فى حوار طويل مع غيرى
وحين أعود إلى البيت منكسراً
سأنزل درجات نفق التحرير



وأسمع صوت رنين عملة معدنية
تتدحرج على رخام الدرجَ دون أن أراها
سأتحسس جيب بنطلونى الفارغ
لأقنع نفسى بأن العملة سقطت منه
كما سقطت أنت من قلبى
قلبى الذى لم تدخليه أصلاً .

شرفات

إبتسام المتوكل

١ - صيد

كم يلزم من شرفات
من صمت لكل هذه العزلة
لكل هاته النساء
حيث لابد من شرفة
من امرأة وحيدة، على الأقل،
ليصطادها شاعر عابر
ويسجنها فى قصيدة عارية.

●●●

بعد ألا طفولة
نصف اسمى امحى
منذ اكتشفوا أحزانهم
كتبوا بحروف شخصية
دموعاً - ملطخة بنسيانات كثيفة -
على سبورات مخصصة لألم
انفرادى
ولم يذكرونى
وقعوا مواجعهم
بأبجدية
مغايرة!!

٢ - تأثيث

لدى الكثيف من الوحدة
من الانتظار
من الصمت
لأؤثث اشرفات كلها
وتنقضى شرفة واحدة فحسب
أغمرها بما تحتمل
من وحدتى
وصمتى
وانتظاراتى

●●●

٣ - شرفة حتى

أجلس فى الوحدة المدانة
فى الصمت الضاج بصخبه
فى الانتظار الفائز ببطولة كرة
السلة
أجلس
تخترقنى الحكايا
ولا أملك شرفة حتى
شرفة على الأقل
أحشرها فى القصيدة
متهمة إياها
بكل ذلك

●●●

٤ - بأصابع محترفة

عليها
– القصيدة –
أن تتألم
أن تنهمر مستوحشة
ولك
فى آخر المطاف – وربما فى أوله –
أن تذيلها باسمك
بعد أن تشذب بأصابع محترفة
الزائد من الألم
وتحذف (متعمداً) ما تراه تافهاً
وغير ضرورى
من انهياراتها

شعر

أسنة القربى

أحمد العواضي

ذهبت رياحك والبلادُ تنكرت حجراً، وأعطت
قلبها أحداً سواك، وأنت وحدك لا عصى
موسى، ولا فرساً براقاً في مداك. لمن ستشكو
لا أباً تشكو إليه أسنة القربى ولا سحراً فتشعله
يداك؟



كأن روحك كوكبٌ قلقٌ
وحزنك شاهق لا ماء في بيد
الشجون ولا سماء كي
تراك.
ذهبت رياحك والبلاد
ترمم الرؤيا لليلٍ عابرٍ لا
وحي إلا ما تجود به الإشارة وهي آخرُ
ما تبقى من هواك، وكلما أرخيت أوسطها
على هذا المسمى الشعر تضطرب المقامات
العلى حزناً و تتخذ لك اللفتات.

شعر

نشوة الماء

عبد الوهاب الحراسى

نشوة الماء، إن
مسك الماء تهتز أرض الصلاة،
يشرع الفجر للمسك اسماءك المدهشات،
كلما «التفت الساق بالساق» بالماء
أنسى دمي
جانحا للشهيق!!

هكذا، أنت أعلى وأقسى الغوايات لى:
كلما أشرق الصدر رمانه
رتل الورد أشواقه،
صعد القلب أسجاعه
جامحا فى سهوب الكلام.

فتنة اللحن أم نهدة
فتقتها أقاليمك المذهلات!!



هكذا
أنت معزوفة
.. من تليق بأن يسمع الله إنغمها!!

هكذا كيف لي...
كيف أشعلتنى وثنا اشتهى
فض هذا البهاء الطهور!!؟؟؟

شعر

هواجس

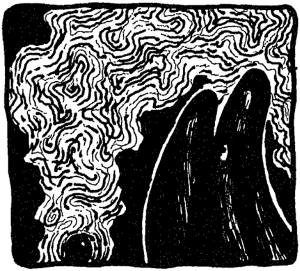
صلاح الشامى

هاجس القهر

نار
يسعرها الظلم
ضد المساكين..
يسلبهم عبق العيش
فى موئل الطير...،
يخترق القلب ذاكرة
وأماناً
وأمنية بالحياة مع الناس،
أغنية
لحنها ينكرون.

هاجس اليتم

● مرغ شدو الطفولة بالصمت
أقصى الغريب
عن الكائنات الصغيرة فى حلمه..
وعلى شط عينيه
ترسو مراكب أحزانه
مثقلات بغربة آلامه...،
● يحتسى من عيون الذين ...
شماتتهم،
وابتساماتهم - كيفما يدعون
صياغتها



● برزخ فى عيون الغريب....،
يحول سوى ما يراه،
يحول إنصاته
- لرؤى بهجة فى جواه -
جحيماً....،
● تدافعه أعين الناس،
والشك فى قلبه:
ليهيم بما لا يعى آخرون.

هاجس العشق

صوفية شمس أهدابه....،
يتعلق بالماوراء التوقع..
تسكره آهة
وتذيب انهماراته
لمحة فى مرايا الهوى
حيث يكتنز الضوء
كل قوافله
فى الطريق المؤدى
إلى روضة
فى مراقى الفتون

شعر

بانتظار الملاك على الأرصفة

محمد حسين هيثم

رحلوا
لم يجدوا ما يفى بارتحالاتهم من
قبور
ما سيكفى لموت كثير كهذا
ما سيكفى لموتى كثار

جلسوا بانتظار الملاك على
الأرصفة
أسندوا فى الزوايا معاولهم
ومقاطفهم
بعد أن
جربوا
الحفر
عند الحواف
بقرب الحدود
وفى الإبر المستدقة
بين الهواء
وجوف خيوط الظلام
وفى فتلة الضوء
عند النهار
لم يأتهم أحد
مددوا يأسهم ثم أرجلهم
نصبوا فى الخلاء أراجيلهم
قرأوا فى الطوالع



أن الملاك سيأتى غداً

....

لم يأتهم أحد

....

لم يأتهم أبداً

من أيما جهة

أى غد عابر فى المدار

تركوا هكذا فى الخلاء

لا قبور لهم

لا أخاديد تجمعهم

لا حفر فى تداولهم

لا ثقوب هنا

لا جروف هنالك

لا شقوق ترى فى الجوار

تركوا هكذا وحدهم

بانتظار الملاك على الأرصفة

يقضمون أظافرهم

فى الزوايا

على كل منعطف

قرب كل جدار

دراسة

المقاومة ونقد الثقافة السائدة

فريدة النقاش

هل العولمة الرأسمالية قدر لا فكاك منه؟ وهل هناك حقاً استحالة للنضال من أجل عولمة بديلة تطلعت إليها الملايين التى انخرطت فى حركة مناهضة العولمة منذ سياتل إلى نيس، ومن بورتو إليجرى إلى دربان، ومن جنوا إلى بومباى واندلعت مظاهراتها الحاشدة المليونية ضد العدوان على العراق وتأييداً للشعب الفلسطينى لا.. بل تقدم هذه المظاهر كلها بعمقها وغناها وتنوع القوى التى شاركت فيها إجابة قاطعة وقوية وهى أن العولمة الرأسمالية ليست قدراً، بل وتستطيع الإنسانية أن تتصدى للهيمنة الامبريالية وتدحرها يوما، والمقاومة فى العراق وفلسطين وحركة مناهضة العولمة شواهد لكن هذه الإجابة البسيطة والساطعة والتى تكاد تتسم مرة أخرى بما يمكن أن نسميه قدرية مضادة لا ترد على كل التساؤلات المرتبطة بالقضية.

وأول هذه التساؤلات هو كيف يكون بوسع هذه القوى المتنوعة الهائلة أن تبلور منظومة جديدة مشتركة لثقافة المقاومة فى ظل العولمة الرأسمالية، ثقافة ذات طابع تاريخى عقلانى ملهم، يكون مادته الأولية من كل ما هو إيجابى وتقدمى ومضئ فى ثقافات الشعوب كافة، ذلك فى الحقيقة وجه أصيل من وجوه ما بعد الحداثة حين ترد الاعتبار لثقافات الشعوب وللثقافات الفرعية المحلية وتتفهم سياقاتها وتعترف بحقها فى الوجود والتأثير دون وصاية أو استعلاء أو تفاخر من قبل ما بعد الحداثيين المنتمين إلى ثقافات الدول الكبرى والذين

يسخرون من روح الهيمنة والتكبر فيها، وينتقد بعضهم الروح الاستشراقية والاستعمارية انتقادا جذرياً.

وفى هذا السياق ذاته سوف تحتاج لجهود بحثية وتنظيرية كبيرة لتحديد طبيعة المرحلة العاصفة التى يمر بها العالم خاصة أن الصراع الطبقى يشتد بين الشمال والجنوب وعلى صعيد كل بلد من جهة أخرى بعد أن سيطر النهابون والمرتزقة كما وصفهم «زيجلر» على مقدرات الشعوب..

جرى اغتيال المفكر الماركسى اللبنانى مهدى عامل قبل سقوط المنظومة الاشتراكية التى كان قد عول عليها جزئيا فى نظريته حول تداخل الوطنى والطبقى فى حركة التحرر العربية قائلاً إن الإنسانية تخوض معركة الانتقال إلى الاشتراكية وإن واقع مجتمعاتنا العربية هو أنها خاضعة للسيطرة الامبريالية، بوجودها فى شبكة علاقات النظام الرأسمالى العالمي، فلا سبل لها إذن إلى الإفلات من القوانين الكونية التى تحكم حركة التاريخ المعاصر، من حيث هي، فى الأزمة العامة للأمبريالية، حركة الانتقال إلى الاشتراكية لهذا كانت حركة التحرر الوطنى فى جوهرها حركة هذا الانتقال نفسه وسيرورتها سيرورته، وكان الصراع الطبقى فيها هو الصراع الوطني، فلا فصل فيه لوجه أو شكل منه عن الآخر، ولا تغليب لهذا أو ذاك إلا فى الإيدلوجية البورجوازية وبتعبير آخر، إن التلازم فى حركة التحرر الوطنى بين العداء للأمبريالية والعداء للرأسمالية قائمة بالضرورة..(١).

لاشك أن المرء يمكن أن يساوره القلق بل والدهشة أمام اقتراح تجديد مقولة عصر الانتقال إلى الاشتراكية خاصة بعد سقوط المنظومة الاشتراكية، وأكثر من ذلك توحش الامبريالية واحتلالها للبلدان، مع الإفقار المتزايد للميارات من البشر فى تناقض صارخ مع الوفرة الهائلة فى الثروات التى يمكن أن تشرع الأبواب على مملكة الحرية والفائض المتزايد منها والذى يشكل تكدسه أزمة متفاقمة للشركات عابرة القارات وهى عماد العولمة.

ولكن وأمام هذا السؤال علينا هنا أن نضع فى الاعتبار مجموعة من الحقائق ونحن ننطلق من الواقع الفعلى لا نتمناه. ونستخدم أدوات الفكر العلمى النقدى للإسهام فى بلورة سمات المقاومة الثقافية.

أول هذه الحقائق أن فشل التجربة الأولى فى التاريخ لا يعنى أن حاجة الإنسانية للاشتراكية لم تعد موجودة، بل إن تفاقم الصراعات وتكثيف الاستغلال يجعل هذه الحاجة أكثر إلحاحاً خاصة بعد أن توفرت بصورة غير مسبوقة كل الشروط المادية للانتقال إلى الاشتراكية من تقدم اقتصادى وعلمي وبنية تحتية عالمية عملاقة للاتصال والمعلومات ولانفتاح العالم على بعضه البعض، وبعد استخدام هذه الوسائط لتنظم النضال المشترك فى ١٥ فبراير حين انطلقت المظاهرة العالمية ضد العدوان على العراق نموذجاً.. جرى

تنظيمها عبر الانترنت ليشارك فيها ثلاثون مليونا من البشر فى كل أرجاء العالم.

ثانى هذه الحقائق أن تشخيص المرحلة التى يمر بها التطور الإنسانى باعتبارها مرحلة انتقال إلى الاشتراكية لا يعنى أننا سوف ننجز هذا الانتقال الآن أو خلال سنوات أو عقود قليلة فمثل هذا الأمر ليس وارداً فى المسيرة الطويلة لتاريخ الإنسانية التى استغرقت عملية انتقالها من النظم ما قبل الرأسمالية إلى النظام الرأسمالى خمسة قرون.

لقد حاول المفكر الاشتراكى الإنجليزي الراحل «رالف ميلياند» أن يرد ردوداً شاملة على كل أسئلة الانتقال إلى الاشتراكية بعد سقوط المعسكر الاشتراكى فى كتابه «الاشتراكية لعصر شكاك» الذى نشرته دار المدى ورأى أن الوفرة الهائلة وتنامى ثورة الاتصال جنباً إلى جنب الخبرات المعاصرة الثمينة للبشرية وتراكم الثقافة التقدمية قد مهدت جميعاً الأرض لكى تنتقل الإنسانية إلى الاشتراكية سلمياً وديمقراطياً، بل ولكى تبدع نماذج اشتراكية جديدة هى ديمقراطية فى العمق، وبالغة التنوع ويستحيل تنميطها أو صبها فى قالب واحد، لا فحسب لأن فصل الديمقراطية عن الاشتراكية كان أحد الأسباب الرئيسية لسقوط التجربة الاشتراكية الأولي، ولكن أيضاً لأن الاشتراكية على الصعيد النظرى هى الديمقراطية الحقيقية التى لا ينفصل فيها الاقتصادى – السياسى عن الاجتماعى الثقافى أبداً.

كما أن الطبقى لا ينفصل عن الوطنى فى حالة البلدان التابعة أو المستعمرة فى طرح «مهدى عامل» كذلك فإن الاشتراكيين مدعوون لأن يطرحوا مشروعهم للانتقال على قوى اجتماعية وسياسية وثقافية بالغة التنوع لم تقتنع بعد بأن التجاوز المنشود للرأسمالية المتوحشة يمكن أن يكون اشتراكياً حتى لا نعيد إنتاج الأزمة وتتكون هذه القوى المتنوعة من الحركة النسائية الجديدة للخضر وأنصار السلام والبيئة، للجماعات الخيرية للحركات الدينية التقدمية للنقابات، وهم يدعوون جميعاً لكى يناضلوا معاً وأن يبلوروا رؤية مشتركة فى عملية صراعية طويلة المدى وعلى قاعدة اجتماعية واسعة جداً أضيرت بقسوة من الليبرالية الجديدة، وذلك من أجل تحرير الإنسان فى كل مكان.

وفى هذا السياق تصبح الحاجة ماسة لنفض التراب عن الثقافة الثورية بكل تجلياتها فى كل مكان من العالم ورد الاعتبار لها بعد أن تعرضت للتشويه والتعتيم عليها وإضاءة الوشائج العميقة فيما بينها واستكشاف عناصر الثقافة البديلة وبلورتها فى الأدب والمسرح والسينما والنظرية والفن التشكيلى والعلوم الإنسانية كافة مع احترام المسافة الضرورية بين الثقافى والسياسى دون عزلهما عن بعضهما البعض فليست هناك سياسة ثورية دون ثقافة ثورية وتوفر ثورة الاتصال والمعلومات إمكانات هائلة للتعرف على الإبداع المتنوع للمقاومين فى كل مكان، بل والتواصل معهم وخلق الروابط فيما بينهم من فلسطين للعراق

ومن البرازيل للهند ومن الصين لنيكارجوا، ومن مصر لفرنسا، ومن الأردن للفيليبين، وهو الشكل التنظيمى الذى تطلق عليه المنظمات الديمقراطية وصف الشبكات.

وأسوق لكم تجربة من الأحياء العمالية فى بريطانيا أطلق عليها صناعة «جمهورية الأدب» التى استهدفت التعرف على الطريقة التى طورت عبرها الطبقة العاملة، خاصة النساء والسود أشكالاً جديدة للكتابة وطرائق جديدة جماعية ومحلية للنشر وإقامة شبكات للتوزيع، حيث تشكلت عناصر حركة تستهدف زعزعة مؤسسة الأدب ، وجعل الكتابة شكلا شعبياً للتعبير يتمكن منه الناس جميعاً فلا يصبح حكرا على نخبة مدينية محظوظة وكأنما يستلهمون فكرة ماركس عن مملكة الحرية التى سيتحرر بها البشر جميعاً من أسر الضرورة والحاجة ويصبحون أحراراً كالطيور يحلقون جميعاً فى عالم الفن ففى كل إنسان فنان مخفى ، وحيث يذهبون إلى أقصى ما يمكن أن تحملهم إليه قدراتهم ومواهبهم فى زمن قادم.

وقد انخرط فى هذه المبادرات الكثيرون قادمين من مواقع العمل الفقيرة ومن مدارس تعليم الكبار وفصول محو الأمية نساء ورجالا وأسسوا مشروعات للنشر المحلي، وانخرطوا فى جماعات الكتابة، وورش العمل المحلية لكتابة التاريخ، وقد تنادت هذه المجموعات (كانوا ثمانية حين بدأوا) لتعمل مع بعضها البعض سنة ١٩٧٦ وكونت «اتحاداً للعمال الكتاب والناشرين المحليين» ومنذ ذلك التاريخ خرجت إلى الوجود أشعار، وقصص وسير ذاتية بعيداً عن المؤسسة الرسمية الراسخة للأدب، وعن اقتصاديات السوق التى تحكم عملية النشر التجارى»(٢).

رفع هؤلاء الكتاب المكافحون الذين عملوا شكل جماعى وقرأوا لبعضهم البعض شعاراً بسيطاً يقول «احفر حينما تقف».

ولم ينتج هؤلاء المبدعون «نصوصاً متجانسة، فلم يكن ذلك سهلا طالما أن العملية تعكس الأساليب والحقائق الفردية لعدد من النشطاء الأفراد، الذين وبرغم توافقهم السياسى العام، فإنهم كانوا معنيين، بأن يعكسوا الفروق فى التفاصيل والاختلافات فيها وحولها، فالاشتراكية هى بعد كل شيء تدور حول الاختلافات بين الأشياء تماماً كما تدور حول التماثلات بينها، ولم يكن هذا العمل معنياً بتعريفات مفهومية حلم بعضنا بإنتاجها، ولكنه ، أو على الأقل هكذا نأمل هو فهم عميق لحركة دائبة هى فى حالة سيرورة..

ذلك أن المساجلات والجدال حول الثقافة والطبقة والالتزام السياسى لا تدور فحسب حول من أين أتينا، ومن أى طبقة وموقع فكري، ولكنها تدور أساساً حول المسار أى إلى أين نحن ذاهبون..»(٣).

وبوسعنا نحن المثقفين النقديين الملتزمين بقضية تغيير العالم والعالم العربى على نحو



خاص وتحريره من الاحتلال والاستبداد والاستغلال لا أن ننسخ آلاف التجارب المنوعة التى تذخر بها بلدان العالم كافة متقدمة ومتخلفة غنية وفقيرة لدفع مشروع التغيير للأفضل إلى الأمام ولكننا نستطيع أن نستلهمها ونحن نبتكر أساليبنا فى ظل معطيات واقعنا وعلى سبيل المثال استطاع الحزب الشيوعى اللبنانى فى واقع تتوفر فيه إمكانية لتأسيس إذاعة أن ينشئ إذاعة «صوت الشعب» على غرار الراديو الشعبى فى ميلانو بإيطاليا والذى يموله المستمعون كمساهمين ومتبرعين وهو صوت مثل إذاعة «صوت الشعب» لقوى التقدم وللقضايا التى يخفيها الإعلام التجارى دفاعاً عن مصلحة الشركات والاحتكارات الكبيرة، فالقوى الشعبية تتكاتف لخلق منابر لها حتى لو كانت محدودة الانتشار وحتى ضعيفة إلا أنها يمكن أن تستقطب بالتدريج أصحاب المصلحة الحقيقيين وهم بالملايين.

ويكون هؤلاء من خلال تجاربهم المشتركة ونضالهم لانتزاع مساحات متزايدة من حرية الحركة والتعبير وأشكال تضامنهم رؤى نقدية للعالم.

ويكتشف هؤلاء المثقفون العضويون المنخرطون فى العمل الكفاحى أشكال التلاعب الإيديولوجى والتزوير فى الثقافة السائدة فالموقف الإيديولوجى هو وبالأساس موقف طبقى له حضوره المستتر فى القاعدة الفكرية التى ينطلق منها الشكل المعين للمعرفة ورؤية العالم.

وتكتسب المقاومة الثقافية على صعيد الإعلام أهمية بالغة خاصة وقد استولت الشركات عابرة القارات على مؤسسات الإعلام الكبرى وفرضت هيمنتها عليها، واستولت نظم الحكم التابعة فى بلادنا على كل من أجهزة الإعلام والثقافة، وحولتها إلى أبواق لتزييف الحقائق أو اجتزائها ومدح الحكم، وترويج الرؤية الوضعية التجريبية للعالم دون الرؤية العلمية النقدية التاريخية التى تعنى النظر للأمور بما هى عليه ومن الخارج دون محاولة التعرف على علاقاتها وقوانينها الداخلية وآلية حركتها، ويبدو كأن الواقع المعنى مع هذه النظرية الوضعية هو أبدى وثابت ولا يمكن تغييره، وأن كل الأشياء موضوعة فى مكانها الصحيح وهو المكان الطبيعى أى «نظام الأشياء» وفق تعبير «بورديو».

ويبدو انقسام المجتمع إلى طبقات والأمر كذلك هو طبيعة الأمور التى لا يمكن تغييرها ويستمد فرانسيس فوكوياما مفاهيم كتابه نهاية التاريخ وصولا إلى خلود الرأسمالية من الفلسفة الوضعية وسيادة المفاهيم الوضعية وترويجها يؤديان إلى تحذير المحكومين وخداعهم، وتزييف وعيهم، وإزاحة الأسئلة، وسحق روح النقد لصالح الأناشيد، والتفاخر بأمجاد الماضى بدلا عن ذلة وهوان الحاضر وظلمة المستقبل، وقد أصبح الإعلام العربى فى أيدى هذه السلطات أحد أقوى أدوات القمع وأكثرها إيلاما إذ أنه فى ظل انتشار الأمية الأبجدية ناهيك عن الأمية الإلكترونية تحول إلى أداة تثقيف أساسية مهدت الأرض وبذرت فيها بذور النظرة الأحادية الضيقة والرؤية المغلقة، تلك الرؤية التى غذتها من جهة أخرى

جماعات احترفت تكفير الآخر، وتاجرت بالدين، وسعت لتهميش المرأة وإعادتها إلى البيت باسم الإسلام.

إن خلق بدائل إعلامية هو المهمة التى على المثقفين النقديين إنجازها جنباً إلى جنب الكفاح من أجل ديمقراطية الإعلام القائم فعلا، والاستفادة لأقصى درجة من الفضائيات الجديدة والتى تتمتع بهامش من الحرية من أجل وعى جديد وأسس أخلاقية تقوم على النزاهة فى تكوين الإعلاميين الجدد وتحصين قدراتهم على العمل المشترك للدفاع عن حقوقهم وحرياتهم فى البحث عن الحقيقة وتقديمها دون تزوير.. وإضاءة حقائق الواقع العربى وخبايا الصراع الطبقى فيه والكشف عن التلازم بين الصراع الطبقى والصراع ضد الاحتلال والتبعية، كذلك فإن إضاءة الروح الثورية فى كل تراث الإنسانية وتراثنا على نحو خاص مع إحياء الذاكرة الشعبية التى تختزن هذا التراث هى مهمة أخرى لتأسيس ثقافة مقاومة للعولمة الرأسمالية.

يذكرنا «نعوم تشومسكي» فى كتابه سالف الذكر بما حدث «لمارك توين» وهو واحد من أكبر الأدباء والمناضلين الأمريكيين فى القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، والذى نسيته أمريكا فنسيه العالم كما يقول «تشومسكى» لأن الإعلام الامبريالى الجبار قادر كما نعرف على صنع النجوم وطمس الذاكرة الإنسانية التى تحتوى أسماء القادة العظام المناصرين للعدل والمساواة والكرامة الإنسانية.

كتب مارك توين يقول:

(إن دعاة إلغاء الرق لم يتم توقيرهم إلا كذكرى) ويعلق تشومسكى:

«إن مقالات مارك توين نفسه المعادية للأمبريالية تكاد تكون مجهولة حتى الآن، فلم تظهر المجموعة الأولى منها إلا سنة ١٩٩٢، وقد لاحظ الناشرون أن دوره البارز فى رابطة معاداة الأمبريالية وهو نشاطه الأساسى فى السنوات العشر الأخيرة من عمره، يبدو أنه لم يلاحظ فى أى من الكتب التى سجلت سيرته..»(٤).

ويعرف طلاب اللغويات فى بلادنا «نعوم تشومسكى» نفسه كعالم لغة وأستاذ فى «ال أم أى ت» أكبر وأشهر المعاهد العلمية فى أمريكا، ولكنهم فى الغالب الأعم لا يعرفون شيئاً عن كتاباته ومواقفه السياسية بسبب التعتيم الإعلامى الذى تمارسه المؤسسات الكبيرة فى أمريكا وفي عالمنا على حد سواء.

وسوف يقول قائل إن «تشومسكى» الذى يكشف فى دراساته عن البربرية المتجددة فى عصرنا والتى تمثلها الولايات المتحدة الأمريكية يقول لنا ما نعرفه بحكم خبرتنا وتجربتنا خاصة بعد احتلال العراق والكشف عن الانحياز الأعمى للاستعمار الاستيطانى الصهيونى

فى فلسطين، وهذا صحيح ، ولكنه صحيح أيضا آن الوهم الأمريكى مازال يملأ عقول وقلوب الملايين من ضحايا البربرية الأمريكية على امتداد المعمورة وفى بلادنا وهؤلاء يرون أن الوجه الأمبريالى لأمريكا ليس إلا حالة عارضة، أما الأصل فى قيمتها ودورها فهو كونها وطن التقدم العلمى الهائل والحضارة الصناعية وما بعد الصناعية والأقمار الجبارة وقنوات التليفزيون والبضائع الفاتنة، وواقع الأمر أن التجربة الأمريكية راكمت هذا التقدم على جثث ملايين الهنود الحمر ومن نهب ثروات الشعوب أى أن التعريف العلمى الموضوعى لها هو أن حقيقتها تكمن فى المقام الأول فى أنها دولة أمبريالية وهى الحقيقة التى يفضحها «نعوم تشومسكى» وتكشف عنها نتائج دراساته على نطاق واسع.

والمعرفة العلمية للواقع العالمى هي سلاح للجماهير فى معركتها المتصلة المتعددة الجوانب ضد الغزو الأمبريالى والاستغلال الطبقى والاستبداد المحلي، وعلى نحو خاص ضد الأوهام التى يروجها عن نفسه كل من الغزو والأستغلال والتحالفات الحاكمة التى وضعتنا نحن العرب فى ذيل العالم، وكدنا نخرج من التاريخ.

يفعل «تشومسكى» ذلك فى قلب المركز الأمبريالى فيلتقط نتاج عمله آلاف المناضلين ضد الامبريالية والاستغلال من فرق مسرحية لكتاب، ومن نقابات لأحزاب لصحف لا نعرف عنها شيئاً شأنه شأن مئات المبدعين الأمريكيين المعاديين للأمبريالية ولأمبريالية بلادهم على نحو خاص.

وفى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية هناك آلاف آخرون من المثقفين الذين يبدعون بدورهم ثقافة المقاومة فى مواجهة الأشكال الجديدة للغزو والاستغلال.

وفى كتابه شهر ويوم.. مذكرات الاعتقال الذى صدر بعد شنقه يطرح الكاتب النيجيرى كير سيراويوا القضية برمتها هو الذى أعدمته الدكتاتورية بالتواطؤ مع شركة شل للبترول التى فضح سيراويوا ورفاقه عبر «حركة الدفاع عن بقاء شعب الأوجونى» ١٩٩٠ ممارسات الأمبريالية والاستبداد وتحالفهما مع احتكارات البترول.

والأوجونى هى جماعة عرقية صغيرة و٩٤٪ من الناتج القومى الإجمالى لنيجيريا هو البترول يوجد هذا البترول - فى الأساس - فى أراضى دلتا نهر النيجر التى تقطنها هذه الجماعات العرقية الصغيرة.

ومنذ عام ١٩٥٨ وبلاد الأوجونى تنتج البترول ولكن شعب الأوجونى لا يملك أى شيء يدل على أمتلاكه أى ثروات أو موارد «أننى أريد العدل لشعب الأوجونى».

خلال ثلاث وثلاثين سنة أطلقت شركات البترول الغاز فى نيجيريا مما تسبب فى هطول الأمطار الحمضية والمعروف أن معدل سقوط المطر فى منطقة الأوجونى مرتفع للغاية وهكذا تهطل المطار الحمضية بغزارة وتفسد التربة ونظرا لأن العلاقة بين الحكومة النيجيرية

والأقليات العرقية هى علاقة استعمارية فأن مصالح شركة شل تمتزج مع مصالح هؤلاء الذين يديرون دفة الأمور في نيجيريا الآن».

يقول سيراويوا:

«إنى أتهم شركة شل بالعنصرية لأنها ترتكب أفعالاً فى أوجونى «لا تجرؤ على أن تمارس مثلها فى أوروبا أو أمريكا حيث تقوم بعمليات تنقيب عن البترول أيضا ويكتب سيراويوا عن دور الأدب كما يراه:

«الأدب يجب أن يكون مقاتلا، وليس بوسعك أن تدعو للفن من أجل الفن، فهذا الفن يجب أن يفعل شيئاً لتغيير حياة أفراد المجتمع والأمة، إن للأدب فى مجتمع مثل المجتمع النيجيرى مهمة تختلف تماما عن مهمته فى المجتمع البريطاني.

وأنتم تعرفون أن الكاتب لا يكسب مالا فى نيجيريا ورغم أن نيجيريا تضم مائة مليون نسمة فإن معظم مواطنيها لا يستطيعون القراءة والكتابة وبالتالى فإن للأدب رسالة مختلفة فى نيجيريا ها أنذا أمامكم لقد كتبت ٢٢ كتابا و١٥٠ برنامجاً ومسلسلا تلفزيونيا استمتع بها كل مشاهد، ومع ذلك فإننى فقير، وهذا لا يهمنى كل ما يهمنى هو أن يكون فنى قادراً على تغيير وجه الحياة بالنسبة لعدد كبير من الناس، وتغيير مجتمع بأكمله وبلادى برمتها.

ثم يضيف:

لم تعد المسألة الآن مجرد رحلة من رحلات الأنا لممارسة التأملات الذاتية وإنما القضية الآن السياسات الاقتصادية وكل شيء تعرفه، وعندئذ يصبح للفن مغزى ومعنى ودلالة سواء بالنسبة للفنان ذاته أو بالنسبة لمتذوقى هذا الفن، لأنك لا ينبغى أن تنتظر منهم قراءة كتبك فحسب، وإنما عليك أن تعيش حياتهم.

لذلك أقول إن للفنان فى مجتمعنا دوراً مختلفاً وفى تقديرى أنه دور أكثر قيمة وأهمية من دور الفنان فى الغرب، وعندما تطالب بحقوق الشعوب فإنه ليس بمقدورك أن تشرع فى التساؤل عما إذا كنت ستواجه خطر دخول السجن أو تتعرض للقتل أو أى شيء آخر، فالحق هو الحق ، ويجب القتال من أجله.

ثم يضيف: «أن تموت محارباً من أجل أن ينصلح عالم معوج لهى أعظم هبة من الحياة».

ثم يضيف: «وقد رأينا العديد من الطغاة فى الماضى يتساقطون والطغاة الجدد سوف يتساقطون أيضاً..».

وقد استخدم سيراويوا، مصطلح الاستعمار الداخلى، وكتب مسلسلات وروايات شعبية وكتابة سياسية ساخرة ومات فقيراً لفقت الدكتاتورية مع شركات النفط لسيراويوا وثمانية

من رفاقه تهمة قتل أربعة من المواطنين من أهالى الأوجونى المتهمين بالتعاون مع السلطة العسكرية، وقدمتهم لمحكمة استثنائية حكمت عليهم بالشنق ورفضت كل الأدلة القاطعة التى تقدم بها أهالى «الأوجونى وحركتهم» وسارعت بتنفيذ الحكم بليل رغم الاحتجاجات والصرخات التى انطلقت من كل أرجاء العالم.

وفى ساحة الإعدام غنى كين سيراويوا ورفاقه نشيد حركتهم، وهتفوا فى وجه جلاديهم إن النضال سوف يستمر، وسوف ينتصر شعب «الأوجونى» وكل الشعوب التى تتعرض للاستغلال والنهب والإذلال.

وقدم سيراويوا ورفاقه نماذج لمثقفين ثوريين يختلفون كلية عن هؤلاء المشدودين إلى السلطة والمتطلعين للحصول على مكان لهم لدى السلطات، وبقدر ما عرف الثوريون واجبهم تجاه شعبهم عاشوا فى ضميره.(٥)

وبوسعنا أن نقدم ما لا نهاية له من خبرات المقاومة لدى الشعوب وأشكال إبداعها لثقافة جديدة تؤسس لمناعتها الأخلاقية والروحية، من مسرح الشارع فى البرازيل لأجوستينوبوال هناك للشيخ إمام فى مصر لمارسيل خليفة فى لبنان لناس الغيوان فى المغرب.

وفى كتابه الجديد بوش فى بابل.. إعادة استعمار العراق «يفرد المفكر الباكستانى» طارق على مساحة كبيرة لإسهام الأطفال فى المقاومة، ويترجم إلى الإنجليزية قصيدة نزار قبانى أطفال الحجارة، ويلتقط نماذج من ممارسات أطفال العراق الآن مقارنة بممارسات أطفال فلسطين ضد الاحتلال.

ففى الأطفال نقاء ونزاهة أخلاقية تضيئ الكفاح وشعرة واحدة من شعر رؤوسهم هى أغلى من كل هؤلاء الذين يجلسون فى مقاعد القضاة ليحاكموهم، فضلا عن قاتليهم..».

وهناك موقف مشابه يتشكل الآن فى أجزاء من العراق حيث يقوم الجنود الأمريكيون بهدم البيوت بالبلدوزورات لمعاقبة أسر بكاملها لأن الأبناء أو الأب ربما يكونون انخراطوا فى المقاومة، وهناك عشرات الصور لصبية صغار وضعوا أسلحتهم على أكتافهم بينما يخضعون للتحقيق الذى يقوم به جنود أمريكيون وهو ما يذكرنا بالمشهد الفلسطيني.

وبعناية فائقة ينتقى الزائرون السياسيون من الغرب أطفالا عراقيين ليقبلوهم وهو ما يعيد إلى الأذهان مشاهد من المرحلة الاستعمارية، فهل يحتاج المرء لأن يتساءل كيف يتعامل الأطفال العراقيون مع الاحتلال؟

تقول لنا التقارير القادمة من العراق والرسائل الشخصية من الأصدقاء هناك إن أطفال الأحياء الفقيرة فى مدن بلاد الرافدين يقومون بمشاكسة المحتلين يومياً والسخرية منهم، معبرين بابتسامة عن ما يتداوله آباؤهم والكبار منهم همساً وسراً، وهؤلاء الأطفال مجبرون الآن على قضاء سنوات تكوينهم تحت الاحتلال الأجنبي، وسوف يكونون هم من ينظم

انتفاضة فى مستقبل ليس بعيداً..»(٦).

وثقافة المقاومة ليست إنتاجاً أدبياً فنياً وفكرياً فقط ولكنها أيضا نمط عيش واختيار ورؤية للعالم ومزاوجة بين الفكر والممارسة وتخلق لما أسماه جرامش المثقف العضوي، ووعى نقدى دائم الاشتغال يفكك ويحلل قيم العنصرية والاستغلال والاستعباد من أى نوع، ويتأسس على مجموعة من القيم العالمية التى أنتجتها البشرية وساهمت كل الثقافات والديانات فى بلورتها بما يتوفر فيها من عناصر تقدمية إيجابية.

وقبل سنوات قدمت المسيرة العالمية للنساء ضد الفقر والعنف مجموعة من الوثائق إلى كل من الأمم المتحدة وصندوق النقد الدولى والبنك الدولى تأسس على انتقاد شامل لسياسات الليبرالية الجديدة، وعبادة السوق والخصخصة وانسحاب الدولة وتوسيع قاعدة الفقر وشاركت فى وضع هذه الوثائق خمسة آلاف منظمة من كل أرجاء المعمورة، والآن تبلور المسيرة ميثاق النساء العالمى من أجل الإنسانية الذى ينهض القيم العالمية الأساسية والتى دافعت عنها النسويات، وهى المساواة بين الشعوب والأفراد والتضامن، وهو الرابطة التى تشد الإنسانية لبعضها البعض، والحريات التى تضمن ثراء التنوع، والعدالة والسلام وهى جميعاً قيم متداخلة ولابد من التعامل معها ككل لا انتقائياً ولا بالتجزئة..»(٧).

ويقول نداء اللجنة التحضيرية للمنتدى الاجتماعى المصرى «إن المنطقة العربية لا تتعرض للإفقار وإهدار الحقوق الاقتصادية والاجتماعية فحسب ولكنها تتعرض أيضاً من فترة طويلة لمستوى من الاستبداد وإهدار الحقوق المدنية، ربما لا يتوفر فى أى منطقة أخرى بالعالم»(٨).

وكما نعرف فإن تقرير التنمية الإنسانية الأول فى الوطن العربى بين أن وضع الحريات فى المنطقة العربية هو الأسوأ فى العالم وهو ما يتوافق مع رؤية عدد من المثقفين شاركوا فى مؤتمر قضايا الإصلاح العربي، الرؤية والتنفيذ فى الإسكندرية فى شهر مارس أيضاً ورفض المشرفون على المؤتمر تضمين أفكارهم الانتقادية فى الوثيقة «إن الدعوة الأمريكية إلى الإصلاح الداخلى العربي، ونظراً لأزدواجية المعايير التى تتعامل بها مع قضايانا العربية، هى دعوة تفتقر إلى المصداقية، شأنها فى ذلك شأن الدعوات الرسمية العربية إلى ذلك الإصلاح فلا معنى لأى إصلاح داخلى ما لم يتصد لجميع أشكال الاحتلال والهيمنة الاقتصادية والسياسية والاستبداد..(٩).

وثمة حرص من قبل المثقفين النقديين والثوريين فى ممارساتهم وكتاباتهم على أن:

«مناهضة المظاهر والتجليات الحالية للعولمة التى ترمى إلى فرض الهيمنة والإفقار من خلال العسكرة المباشرة هى بالتحديد ما نرفضه، كما شددوا فى الوقت نفسه على أننا طرف أصيل فى النضال من أجل عولمة إنسانية بديلة استناداً إلى كل مظاهر التضامن

الإنسانى التى جعلت فيها ثورة الاتصالات والمعلومات أمراً ممكناً..(١٠).
وسوف تعيننا ثورة الاتصالات والمعلومات على أن نكون نحن العرب دعاة التغيير للأفضل والمقاومة من أجله جزء لا يتجزأ من هذه الحركة الناهضة للعولة والتى تحمل جنين ثقافة جديدة للمقاومة وتساعدنا أيضا على أن نفك القيود بأيدينا ونحن نزاوج بين الفكر والعمل فليس فى ملكوت الوعى وحده تحل أسئلة الواقع وتكتشف إجاباتها.
يقول مشروع ميثاق النساء العالمى ضد الفقر والعنف ومن أجل الإنسانية أنه «شهادة على حبنا للحياة وامتناننا بجمال العالم..».
فمما لاشك فيه أن المناضل السعيد هو أقدر من المناضل الحزين على خلق الفرح فى قلب الكآبة والسواد كلما تقدمنا خطوة على الطريق الطويل لتغيير العالم وإخراج الاحتلال من أوطاننا والإطاحة بالاستبداد والفساد والنهب وبناء عالم جديد.. فمثل هذا العالم الأفضل هو ممكن.. كما كان شعار المنتدى الاجتماعى العالمى.
ونعود ونسأل هل أنتج الخيال البشرى حتى الآن يوتوبيا أكثر إنشداداً إلى الأرض من الاشتراكية التى هى أعمق معنى للديمقراطية وليس لها نموذج مسبق.. هذا سؤال مطروح علينا جميعاً.

هوامش

١) مهدى عامل، مقدمات نظرية لدراسة أثر الفكر الاشتراكى فى حركة التحرر الوطني، الطبعة السادسة، دار الفارابى ١٩٩٠ بيروت ص ٧.

٢) Dave mayelynd ken worpole. editors the repiplic of letters working class eriting and local piplishing co-melia piplishing group. london.

٣) jbid.p.

٤) تشومسكي، مصدر سابق

٥) المقتطفات من أوراق الكاتب الشهيد كين سيراويوا – ترجمة وإعداد فريدة النقاش، مجلة أدب ونقد عدد ١٣٢ أغسطس ١٩٩٦ ص ٩٧ – إلى ١١٢.

٦) tariq all. bush in lon. the. recolonization of Iraq. verso. london.2003.p.

٧) consulation guide. women glober charter for humanty. release by the world marsh of women against pov-erty and violence. violence marsh.

٨) نداء من اللجنة التحضيرية للمنتدى الاجتماعى المصرى مارس ٢٠٠٤ ص١

٩) مجلة الآداب – مارس ٢٠٠٤ بيروت ص٦

١٠) نداء من اللجنة التحضيرية للمنتدى الاجتماعى المصرى – مصدر سابق ص ١

دراسة

صور المقاومة فى المخيال الشعبي

سيرة «على الزيبق» أنموذجا

د. محمود إسماعيل

أبدع المخيال الشعبى فى العالم الإسلامى فى العصور الوسطى أدبا ينبض بالحيوية ويستهدف أغراضا عملية، من حيث استجاشة الشعوب ضد النظم المتسلطة فى الداخل وجهاد القوى الخارجية المغيرة بعد تقاعس الحكام عن مواجهتها.

من هنا يمكن اعتبار الأدب الشعبى سجلا تاريخيا للمقاومة، فى مواجهة التاريخ الرسمى الذى «صنعته المؤرخة للملوك» على حد تعبير ابن عربي.

من هنا أيضا كان إحجام مؤرخى البلاط عن التأريخ للمعارضة الشعبية: اللهم إلا من قبيل «إنجرار الكلام»، حسب قول ابن الخطيب(١). إذ عولوا على ذكر العوام الثوار باعتبارهم «أهل بدع وضلالات» واعتبروا الزعماء الشعبيين خبثاء مارقين قادوا العوام لإضرام «فتن» ضد من جعلهم الله ظلا له فى الأرض. ولم يتورعوا عن نعت الثوار بنعوت الأراذل والسفلة والغوغاء والسوقة وغيرها من النعوت المسفه. كما اعتبروا نضالهم محض سلب ونهب وتطاول على «أولى الأمر» غايته الفساد والإفساد واللصوصية وقطع الطرق. بل كثيرا ما اتهموا بالإباحية وتبنى الدعوات الهدامة، إلى جانب العمالة لدول

أجنبية.
وبرغم صدق مقولة كون الشعوب صانعة التاريخ وسرقته من قبل الحكام، فقد جرى احتقار الفلاحين وأهل الحرف والصناعات من قبل مؤرخى البلاط وفقهاء السلطان، لأن «أعمالهم تابعة وممتهنة» يتداولها «حسيون عتاة سقطة ورعاع وأراذل»، تتسم أخلاقهم «بالمكايسة والمماحكة والفجور والبعد عن المروءة»، فضلا عن «التصنع والملق» لأنهم أساسا مجرد «همج هامج ورعاع منتشر، لا نظام لهم ولا اختيار»(٢). هذا على الرغم من كون العوام صناع الحضارة الذين «فنيت أبدانهم فى خدمة أهل الدنيا، وكثرت همومهم من أجلها، ولم يحظوا بشىء من نعيمها ولذاتها»(٣)
بديهى أن تنسحب تلك النظرة الاستعلائية لمؤرخى السلطة وفقهائها على تقويمهم أدب العوام. فقد وسموا الأدب الشعبى بالدونية، إذ هو نتاج عقول أناس «لا يحيزون بين الفاضل والمفضول.. وعدم معرفة الحق من الباطل» لأنهم «جهلة لم يستضيئوا بنور العلم(٤)، وإن شذ البعض فأشادوا بما أبدعه مخيال العوام، إذ «لهم من النوادر والتنكيتات والتركيبات وأنواع المصطلحات ما تملأ الدواوين كثرته.. إلا أن مؤلفى هذا الأفق ضعفت هممهم عن التصنيف فى هذا الشأن(٥) كما لم يهتم المحدثون بأدب العوام إلا فى وقت متأخر، على الرغم من «تعبيره عن محتوى اللاوعى فى الذات العربية»، بل إنه يمثل «القطاع المختفي، المنسي، المهمل والمضمور فى التاريخ والذات»، ومن ثم فهو يضىئ «الصورة والظل المظلم فى التاريخ العربى» نظرا لتعبيره عن «الكامن المكبوت واللاواعى القادر على ملء الظل فى الشخصية العربية»(٦) هذا فضلا عن كونه كاشفا عن زيف التاريخ المكتوب «بما يحويه من أكاذيب وضلالات»(٧).
وهذا يعنى أن الأدب الشعبى يدخل فى إطار «المسكوت عنه» من قبل القدامي، كما ظل من قبيل «اللا مفكر فيه» من لدن الدارسين المحدثين، حتى منتصف الخمسينيات من القرن الماضى(٨).
سكت عنه القدماء لأنه أدب تعرية لمفاسد السلطة، وتحريض على مناورتها. ولعل هذا يفسر لماذا جرى اعتباره – آنذاك – «أدبا مكذوبا»، ولماذا أوعزت السلطة إلى عمالها ومحتسبيها بمصادرته، ومعاملته معاملة السحر والشعوذة(٩). بل لم يتورع فقهاء السلطة عن اعتبار إبداع العوام «فساد للدنيا، وتفقه السفلة إفساد للدين»(١٠).
وعلى العكس، دأب الفقهاء المستنيرون وزعماء المعارضة على تثقيف العوام بل وتعليمهم المنطق والفلسفة، كما هو حال الثائر الأندلسى محمد بن مسرة(١١)، وأبى حيان التوحيدي. بل إن ابن حزم الأندلسى دعا إلى «نشر العلم ما أمكن.. حتى يهتف به على قوارع الطرق وفى شوارع السابلة»(١٢).

لذلك استهدف أدب العوام تحقيق أهداف أغراض سياسية واجتماعية واقتصادية ، فضلا عن استجاشة الجماهير لمقاومة النظم الجائرة ومواجهة الأخطار الأجنبية(١٣). إذ تخلق هذا الأدب خلال عصور ماجت بالتشرذم السياسى والجوائح والأزمات الاقتصادية والصراع العنصرى والطائفى والتحجر الفكري، فضلا عن تعاظم أطماع قوى أجنبية فى العالم الإسلامي.

وإذ تسببت النظم القائمة فى تلك الكوارث، وفشلت الثورات الاجتماعية المنظمة نتيجة تسلط النظام العسكرية القائمة وبطشها بالثوار، لم يكن هناك مناص من اندلاع انتفاضات شعبية استهدفت «تحقيق العدل رفع الظلم وإقامة الشرع»(١٤) بما يعطى لتلك الانتفاضات مشروعيتها.

من هنا يمكن اعتيار الأدب الشعبى تعبيرا عن هموم المظلومين وطموحات المكدودين، باعتباره سلاحا تحريضيا تعبويا إلى جانب المقاومة بالسلاح. لذلك فهو أدب نضالى بامتياز أبدعه المخيال الشعبى ليحمل طموحات الوجدان الجمعى فى الخلاص من النظم الجائرة وبناء مجتمع العدالة والاستقرار فى إطار من قيم الإسلام وشمائل الفروسية.

ولا نحرو، فقد كان أغلبه شفاهيا، كما تنوعت أنواعه وأجناسه، من حكم وأمثال، وأدب الزهد والرقائق، وأدب الفتوة، والكرامات الصوفية والأزجال وأدب الكدية، والمدائح النبوية، فضلا عن السير والملاحم الشعبية.. وغيرها.

فأمثال العوام تنطوى على تجاربهم ومعاناتهم وتعبر عن قيم-الصبر والقناعة والتراحم والتكافل فى مجتمعات غصت بالفساد والاغتراب، بما يعرى الواقع المعيشى ويكشف سوءاته وكيفية إصلاحه.

أما أدب الفتوة فيتضمن قيم الفروسية ويحض على الجهاد ويغرس الفضائل الروحية، بما يحافظ على سلامة الأمة ووحدتها.

ويجسد أدب الكدية هموم الفقراء والمهمشين ومعاناتهم فى خطاب ساخر يكشف عورات التفاوت الطبقي.

ويجسد أدب الزهد والرقائق والكرامات الصوفية مدى اليأس من الإصلاح والتماس الحلول عن طريق المعجزات وكرامات الأولياء.

ويعكس فن الأزجال إبداع الوجدان الشعبى وخصوبة القريحة فى مواجهة فن الموشحات الذى تبدعه الارستقراطية، بما يؤجج نيران الصراع الطبقي.

وتستحضر المدائح النبوية فضائل عصر الرسول(صلى الله عليه وسلم) وتطرحها كمثل أعلى لأحلام المكدودين فى بناء مجتمع فاضل.

وأبدع المخيال الشعبى نوعا من التمثيل المرتجل – كخيال الظل – الذى يسخر من الحكام

ورجالات السلطة وكبار التجار باللسان توطئه لتقويمهم بالسنان(١٦).

قصارى القول، إن المخيال الشعبى أبدع أجناسا من الأدب المعبر عن هموم المكدودين والكادحين، ويعكس صورة حقيقية عن واقع مظلم، ويجيش الأمة لتغييره كوسيلة لتأسيس مجتمع فاضل تسوده قيم الإسلام فى الأمان والعدل والتوحد، كذا تزكية قيم «الفتوة»، بما تنطوى عليه من فضائل كبديل لمفاسد الارستقراطية الحاكمة التى أفضت إلى التشرذم السياسى والضائعات الاقتصادية والانهيار الخلقى والصراع العنصرى والطائفى والجمود الفكري، وتعظم الأخطار الخارجية.

ولا يخلو الإبداع الشعبى من طابع جماعى قصد به الترفيه عن المكدودين، وتخفيف كدر العيش ومكابدة الحياة.

لذلك، انطوى على بعد نقدى واضح، إلى جانب خيال خصب وثقافة أطلق عليها النقاد إصطلاح «الحرية الواقعية»، لمزجه الواقع بالخيال، والحقيقة بالحلم، والشاهد بالغائب، بما يفضى إلى إبداع تاريخه شعبى أكثر مصداقية من التاريخ الرسمى(١٧).

تلك رؤية عامة من روح المقاومة فى المخيال الشعبي، سنحاول تعميقها بدراسة أدب السيرة أو الملحمة الشعبية، من خلال قراءة تاريخية لسيرة «على الزيبق».

يجمع نقاد الأدب على انطواء السير الشعبية على قدر كبير من «الدراما»، نظرا لبنائها على أساس الصراع بين الخير والشر. كما تنطوى على بعد ملحمى يجسد روح المقاومة الشعبية فى مواجهة واقع مظلم، طموحا إلى يوتوبيا» فاضلة(١٨) مستمدة من العصر الذهبى للإسلام، فى إطار عروبى قومى.

فسيرة «سيف بن ذى يزن» تحمل مضمونا نضاليا فى تحرير الأمة من المستعمر الأجنبي. و«سيرة عنترة» تدور حول تحرير الإنسان كأساس لتحرير الأمة. و«سيرة حمزة العرب» تركز على التحرر الاجتماعي. و«سيرة الأميرة ذات الهمة» تجمع بين تحرير المرأة المسلمة والجهاد ضد الخطر الأجنبي.

و«سيرة بنى هلال»، تستهدف القضاء على العنصرية والتعصب القبلى كأساس لتوحيد الأمة. و«سيرة الظاهر بيبرس» تستهدف بناء مجتمع فاضل تصنعه الطبقات الكادحة مع الحكام العدول المستنيرين(١٩).

وتستهدف السير الشعبية جميعاً تحقيق وحدة «دار الإسلام» على أساس من العدل الاجتماعي. ومن ثم لم يقتصر إطارها المكانى على إقليم بعينه، بل شملت العالم الإسلامى بأسره.

كما امتد زمانها إلى عصور ما قبل الإسلام وحتى تاريخ إبداعها.

وانتقت أبطالها وشخوصها من التاريخ الإسلامى العام بنماذجها الخيرة والشريرة.

وتمحور الصراع فيها بين العروبة والعجمة بين الأبطال الشعبيين والحكام الجائرين.

ويشى إبداعها بهدف تعرية الواقع المظلم وتقويضه، لتأسيس واقع جديد مضىء. لذلك يمكن اعتبارها أدبا نضاليا بدرجة أو بأخرى(٢٠). إذ جرى توظيفها فى إذكاء الوعى، واستثمارها فى شحذ الهمم. لقد كانت بمثابة «نشيد للثورة» أو مانيفستو» للثوار.

فنحاول بلورة وبرهنة تلك الرؤية من خلال قراءة سيرة «على الزيبق» كأنموذج يغنى عن دراسة بقية السير والملاحم الشعبية.

تدور وقائع السيرة حول بطلها «على الزيبق» أشطر شطار مصر فى أواخر العصر المملوكى وأوائل العصر العثماني.

ومعلوم أن ظاهرة الشطار فى مصر تمت إلى ظاهرة «الفتوة» التى شهدها العالم الإسلامى بأسره تعبيرا عن الانتفاضات الشعبية ضد نظم جائرة وحكومات متسلطة. فقد عرف الفتيان فى العراق باسم «العيارين» وفى الشام باسم «الأحداث» وفى مصر باسم «الشطار» وفى آسيا الوسطى والهند باسم «الفتاك» وفى آسيا الصغرى باسم «الأخية» وفى المغرب باسم «الصقورة» وفى الأندلس باسم «الفتاك» أو «الصقورة».

وكان للفتوة «تنظيماتها» ورسومها وشعاراتها المميزة وقد استهدف الفتيان الحكومات القائمة وكبار موظفيها فضلا عن كبار التجار الذين ارتبطت مصالحهم بالسلطة. وشهد العالم الإسلامى انتفاضات الفتيان التى نجحت أحيانا فى إقامة حكومات شعبية فى بعض الأقاليم أو المدن ترجمت فضائل الفتوة – من شجاعة ونجدة وفروسية وإنكار للذات.. إلخ إلى سياسات عملية تستهدف تحقيق الأمن والاستقرار والعدالة الاجتماعية. وبرغم فشلها فى إسقاط النظم الجائرة، إلا أنها نجحت فى إرغام الحكام على اتباع سياسات إصلاحية أحيانا كما خففت من وقع الظلم الاجتماعى على الفقراء والمهمشين بالاستيلاء على أموال الأغنياء وتوزيعها عليهم(٢١). لذلك حظى زعماء الفتيان بإعجاب العوام، فأصبحوا فى نظرهم زعماء شعبيين نسج حولهم المخيال الشعبى أدبا ملحما.

من هؤلاء «على الزيبق» الشاطر المصرى الذى كان فى الأصل عيارا فى بغداد حول منتصف القرن الخامس الهجري. لقد جرى إحياؤه كبطل مصرى ملحمى فى السيرة التى حملت اسمه فى أواخر العصر المملوكي وأوائل العصر العثماني.

أما عن بقية شخوص السيرة، فمعظمهم لهم وجود تاريخي، سواء كانوا حكاما أو من اتباعهم أو من مشاهير الفتيان، انتخبهم المخيال الشعبى – دون نظر للزمان أو المكان من التاريخ الإسلامي، وأعطاهم أدوارا تكشف عن كونهم أخيارا أو أشرارا. بمعنى أن هذا المخيال نسج تاريخا خاصا منتخبا يتجاوز التاريخ الرسمى إلى التقويم الشعبى لحقيقة هؤلاء الشخوص(٢٢).

فماذا عن وقائع السيرة؟
يمكن تلخيصها فيما يلى:(٢٣)
تبدأ السيرة بخلفية تاريخية عن تحكم العجم فى الخلافة العباسية عن طريق حيل «دليلة» المحتالة التى أوفدها ملك الفرس إلى بغداد لتحقيق هذا الهدف. إذ قدر لها أن تتولى منصب «مقدم الدرك» بعد احتيالها على «الرشيد» كما تمكنت من طرد «أحمد الدنف» زعيم العيارين من بغداد.
وامتد نفوذها إلى مصر فعزلت مقدم دركها «المقدم حسن» الذى هرب إلى الفيوم وتزوج «فاطمة الزهراء» ابنة القاضى «نور الدين» لجمالها وذكائها.
انصرف المقدم حسن إلى ممارسة قطع الطرق ونهب تجارات كبار التجار وتوزيعها على الفقراء. لذلك أوعز عزيز مصر «أحمد بن طولون» إلى مقدم الدرك «صلاح الدين الكلبى» بقتله ، فدس له السم.
أنجبت الزهراء طفلا أسمته «على» وتولت تعليمه وإعداده للأخذ بثأر أبيه، فأوفدته إلى «الأزهر» لكنه آثر أن يتعلم فنون الفروسية بـ «ميدان الرميلة»، حيث اختلط بالشطار فاحتضنوه ونعتوه بصفة «الزيبق» لذكائه وشطارته.
استعان «الزيبق» برفاقه الشطار للانتقام من «الكلبى» فأخذوا ينددون بظلمه وفساد سيرته فى المساجد. ثم تنكر الزيبق فى صورة «طباخ» والتحق ببلاط العزيز، حيث أحاط علما بأسرار الدولة. ولم ينس سرقة اللحوم من مطبخ العزيز وتوزيعها على الفقراء.
ثم تنكر فى صور مختلفة – مرة كطبيب وأخرى كفتاة ليتمكن من الإيقاع بعزيمة «الكلبى» وفضح أعوانه من موظفى الدولة. وأبدى من ضروب الدهاء والحيل الكثير، لكن غريمه أوقع به بعد حبك حيلة خسيسة دبرها مع أخته. إلا أن «الزهراء» ظهرت فى الوقت الملائم متشحة بزى فارس تمكن من قتل أعوان «الكلبى» وإنقاذ «الزيبق».
وكى تساعد «الزهراء» ابنها – دون أن تكشف له عن كونها أمه – لتحقيق مقاصده النبيلة، طلبت منه السفر إلى الإسكندرية حيث احتضنه كبير شطارها «أحمد الدنف» وزوده بالعتاد والسلاح والرجال لاجتثاث الفساد وإنقاذ العباد من ظلم العزيز ومقدم دركه.
وهنا تحولت أهداف «الزيبق» من الثأر الشخصى إلى مناهضة السلطة. وبعد عدد من الحيل الذكية تمكن «الزيبق» من الاستيلاء على أموال العزيز وتشويه صورته أمام الرعية.
حاول العزيز استمالة الزيبق ليأمن حيله، فعينه فى منصب «مقدم درك مصر وقائد وجاق الزعر» واستثمر الزيبق الفرصة فى إنصاف المظلومين والإحسان إلى الفقراء فحظى بحبهم وإعجابهم.
كما قام بزيارة لجميع أقاليم مصر وحقق الأمن.

والاستقرار بعد إقرار العدالة الاجتماعية. كما انضم إليه الشطار من جميع الأرجاء، الأمر الذى زاد من قوته.

على أن حلم الزيبق تمثل فى إصلاح أحوال العالم الإسلامى كله. لذلك ساند زعيم شطار المغرب الذى جاء إلى مصر للانتقام من عزيزها الذى حاول إغواء خطيبته الهاربة مع أبيها من المغرب خوفا من حاكمها الذى حاول من قبل ضمها إلى جواريه بالقصر. وتبرز السيرة موقف التآخى بين الزيبق وشطاره مع رفاقهم المغاربة، وهو أمر أثار غضب عزيز مصر على الزيبق فحاول التخلص منه مستيعنا بحيل «دليلة» المحتالة والطامعة فى منصب مقدمية الدرك.

وحين أحكمت الحيلة للتخلص من الزيبق بالتواطؤ مع «الكلبي» ظهرت «الزهراء» لإنقاذ ابنها.

أدرك «الزيبق» أن أمن مصر مرتبط بأمن الشام والعراق، فقرر السفر إلى بغداد مرورا بدمشق للقضاء على الفساد فى حاضرة الخلافة.

وفى دمشق تآخى مع مقدم دركها «ابن السكرى»، لكن الخليفة أوعز إلى الأخير بقتل «الزيبق» لكن محاولته باءت بالفشل، وانتهت بقتله، وعين الزيبق أحد شطار دمشق مقدما عرف بالنزاهة والكياسة والعدل.

وفى الطريق من دمشق إلى بغداد أظهر الزيبق من أفانين الحيل والدهاء ما جنبه شرور المكائد التى واجهته.

ولما وصل إلى بغداد عقد الرشيد عدة مباريات بينه وبين عيارى بغداد، انتصر فيها جميعا، الأمر الذى أثار إعجاب الرشيد، فعينه مقدما للدرك بالاشتراك مع «دليلة» المحتالة. لكن الأخيرة حاكت المؤامرات لقتله دون طائل نظرا لوقوف عيارى بغداد بزعامة «عمر الخطاف» إلى جانبه.

عكس الصراع بين «الزيبق» و«دليله» صراعا أكبر بين العرب والعجم، انتهى لصالح العرب.

وقع «الزيبق» فى حب «زينب» ابنة دليلة فوجدت الأخيرة الفرصة المواتية لإظهار عجزه. إذ كلفته بمهام جسام – كإحضار القطفان الذهبى المطلسم الذى يملكه اليهودى عزوز فى مدينة صفد – نجح فى إنجازها جميعا بمعاونة عيارى بغداد و«الزهراء».

ولما أعيتها الحيل، أوعزت إلى «رستم» ملك الموصل لغزو بغداد والتخلص من الزيبق والرشيد فى آن. لكن الحملة باءت بالفشل بعد صمود العيارين فى دهر الغزاة. كما فشلت حملات أخرى ولاقت المصير ذاته للأسباب نفسها.

دبرت «دليلة» مؤامرتها الأخيرة باللجوء إلى ملوك العجم للقضاء على الخلافة، ومهدت لذلك

بخطف أبناء الرشيد - الأمين والمأمون والمعتصم - بعد تخديرهم. كما تواطأت مع ملك الروم للهجوم على دار الإسلام، لكن جيوش العيارين والشطار قدمت من مصر والشام والمغرب ليقودها «الزيبق» لتحقيق النصر الذى توج بزواج «الزيبق» من «زينب».

وفى نشوة الانتصار والزواج السعيد وردت الأخبار بتسلط عزيز مصر وظلمه الرعية، فيعود «الزيبق» إلى مصر وقتله ويعين «الفضل أبى العباس» بدلا منه.

وفى أثناء وجوده بمصر، اضطربت أحوال بغداد لكثرة المارقين على الخلافة المدعين بتآمر الروم والفرس، الأمر الذى دفع «الزيبق» للعودة إلى بغداد ليقضى على الفتن ويعم الأمن البلاد والرخاء العباد.

عندئذ يصاب «على الزيبق» بداء عضال أفضى إلى وفاته بعد أن حقق بغيته، فنعاه الخليفة برثاء أشاد فيه بمآثره، وحزنت عليه الرعية بعد أن نذر حياته دفاعا عن آمالها التى صارت واقعا بعد أن كانت حلما.

باستقراء وقائع سيرة «على الزيبق» يمكن استخلاص الحقائق الآتية:

أولاً: خطأ رؤية مؤرخى البلاط وفقهاء السلطان إلى العيارين والشطار باعتبارهم لصوصا وقطاع طرق، إذ قدمت السيرة من الشواهد ما يؤكد انطواء «الفتوة» على شمائل وفضائل أهلتهم ليكونوا زعماء شعبيين.

كما أهلتهم نضاليتهم لأن يصبحوا أبطالا ملحميين.

ثانيا: بالقدر الذى توجه نضال العيارين والشطار لمناهضة الحكومات الغاشمة، بالقدر الذى آزروا الحكام العدول المستنيرين.

ثالثا: انطواء الفتوة على نزعة اشتراكية، بمصادرة أموال الأغنياء وتوزيعها على الفقراء.

ثالثا: تسلح الفتيان بالزكاء والدهاء إلى جانب السلاح والعتاد، بينما تسلحت السلطات الجائرة بالشعوذات والسحر والطلاسم وتدبير المؤامرات الخسيسة.

رابعا: تعاظم درجة الوعى السياسى والاجتماعى عند العيارين.والشطار، وهو ما تشى به آلية «التآخى» كتقليد إيجابى يستهدف لم شمل الثوار لمواجهة السلطة.

خامسا: قدرة الفتيان على الفرز والانتخابات وتبيان التاريخ الحقيقى من خلال التمييز بين الأخيار والأشرار.

فكثير من شخوص السيرة الأخيار اتخذوا أسماء آل البيت كعلى والزهراء والحسن وزينب وغيرهم من أحيت السيرة شمائلهم كأنموذج يحتذي. بينما كان اختيار أسماء «ابن طولون» و«صلاح الدين» ونعته بنعت «الكلبى».تعبيرا عن كونهم تاريخيا من الحكام الظلمة الذين رفضهم الوجدان الشعبى واحتفى بهم التاريخ الرسمي. أكثر من ذلك كشف السيرة عن المواقف المخزية لمشايخ الأزهر الذين كانوا مبررين ومسوغين بجور الحكام الظلمة.

سادساً: تأصيل نزعة عروبية فى إطار إسلامى لمواجهة الشعوبيين، وتزكية الجهاد كقيمة إسلامية نضالية ضد الحكام الجائرين إلى جانب مواجهة الأخطار الخارجية. كما ينم نشاط «على الزيبق» فى بغداد ودمشق والقاهرة على ضرورة إصلاح قلب العالم الإسلامى كخطوة أساسية نحو إصلاح أطرافه.

سابعاً: لم يكن إبداع السير الشعبية تأكيدا لنبوغ العوام وثقافاتهم الواعية فحسب، بل يشى كذلك باتخاذها وسيلة للنضال باللسان إلى جانب المقاومة بالسنان. ذكر ابن إياس أن عوام مصر الذين ناضلوا التتار والصليبيين كانوا يحيلون فى أياديهم نسخا من «سيرة الظاهر بيبرس»(٢٤).

ثامنا: نجاح حركات الفتوة فى تحقيق الكثير من أحلام الشعوب بإقامة «جمهوريات شعبية»، لكنها كانت قصيرة العمر نظرا لجبروت الحكومات العسكرية المتسلطة من ناحية، وعدم نضج النشاط الثورى نتيجة انضمام الطبقة الوسطى للسلطة من ناحية أخرى.

تاسعا: وحدة صيرورة التاريخ الإسلامى سواء فى طبيعة السلطة أو فى صور المعارضة، بما يدحض النزعات الإقليمية والنعرات العنصرية والطائفية كتفسير رسمى لهذا التاريخ.

عاشراً: تقدم السيرة – أخيراً – درسا مهما عن روح المقاومة وأساليبها، فضلا عن غاياتها القريبة وأهدافها البعيدة. كما تقدم تصورا دقيقا لمكائد النظم الحاكمة الجائرة وتواطئها مع العدو الخارجي.

وهو درس قمين بأن يعيه المناضلون المعاصرون حيث يمر العالم الإسلامى بمرحلة حرجة نتيجة تسلط النظم الحاكمة من جهة، وتعاظم الخطر الأجنبى من جهة أخرى.

●●●

الببليوغرافيا والتوثيق

١) أنظر: ابن الخطيب: أعمال الأعلام، جـ٣، ص ١٩٠، الدار البيضاء ١٩٦٤.

٢) الطرطوشي: سراج الملوك، ص ١٢٥، القاهرة ١٣١٩هـ

٣) رسائل إخوان الصفا، جـ١ ،ص ٤٨، بيروت، د.ت

٤) الطرطوشى: المصدر السابق ، ص ٥٦.

٥) المقرى: نفح الطيب، جـ٣، ص١٥٦، بيروت ١٩٦٨.

٦) أنظر: على زيعور: الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم، ص ٧. ٩، ١٦، بيروت ١٩٤٨.

٧) محمد الجوهرى: علم الفلكلور، ص ١٩، القاهرة ١٩٨٧.

٨) يعزى الفضل إلى المرحوم الدكتور عبد الحميد يونس فى تخصيص كرسى للأستاذية فى الأدب الشعبى بكلية الآداب، جامعة القاهرة، حول هذا التاريخ.

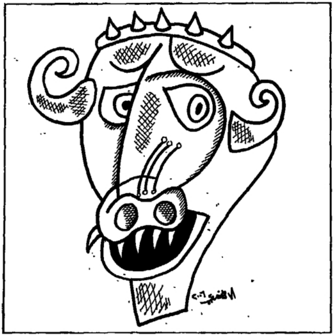
٩) محمد رجب النجار: التراث القصصى فى الأدب العربي، ص ٢٢٩، الكويت ١٩٩٥.

١٠) الطرطوشي: الحوادث والبدع، ص ٧٢، تونس ١٩٥٩.
١١) ابن حيان: المقتبس فى أخبار بلد الأندلس، جـ٥، ص٢١، بيروت ١٩٦٥.، أبو حيان التوحيدي: الامتاع والمؤانسة، جـ٢، ص١٣، بيروت ١٩٥٣.
١٢) ابن حزم: الفصل فى الملل والأهواء والنحل، جـ٢، ص ٢٣٤، بيروت ١٩٨٥.
١٣) محمد رجب النجار: حكايات الشطار والعيارين فى التاريخ العربي، ص ٩، الكويت ١٩٨١.
١٤) نفسه، ص ٦٣.
١٥) محمد رجب النجار: التراث القصصى ، ص ٢٥٧.
١٦) عن مزيد من المعلومات، راجع: محمود إسماعيل: المهمشون فى التاريخ، الإسلامي، ص ١٩٠ ومابعدها، القاهرة ٢٠٠٥.
١٧) محمد رجب النجار: حكايات ص ٢١٨.
١٨) محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامى ، جـ٣، مجلد ٢ ص ١٤٢، القاهرة ٢٠٠٠.
١٨) محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، جـ٣، مجلد ٢ ص ١٤٢، القاهرة ٢٠٠٠.
١٩) محمد رجب النجار: التراث القصصي، ص ٢٦١، ٢٦٦، محمود إسماعيل: سوسيولوجيا ، ص ١٤٢.
٢٠) نفسه، ص ١٤٣.
٢١) عن مزيد من المعلومات، راجع:
محمود إسماعيل: المهمشون فى التاريخ الإسلامي.
٢٢) عن مزيد من التحليل التاريخى والأدبي، راجع:
محمد رجب النجار: حكايات ، ص ٣١٩ – ٣٢٣.
٢٣) اعتمدنا فى ذلك على تلخيص أكثر طولا للمرحوم الصديق / محمد رجب النجار.
راجع:
حكايات العيارين والشطار، ص ٣١٩ – ٣٤٣.
٢٤) محمود رجب النجار: التراث القصصي، ص ٢٢٨.

الديوان الصغير

أمجاد القديس شارون

إريش فريد



ترجمة وتقديم: يسرى خميس

رؤية ورسوم: محمود الهندى

عقب قراءة تلك النصوص «أمجاد القديس شارون» التى صاغها بالألمانية الشاعر اليهودى إريش فريد، وترجمها للعربية الشاعر يسرى خميس. وجدتنى أتجه نحو حبارة الحبر الصينى لعمل الرسوم، وإذ بعينى تنهمر، ولا تهدأ الدموع، فقد تذكرت صديقى الفنان هبة عنايت الذى أهدانى المحبرة والحبارة ومجموعة من الريش، أحضرها جميعاً من الصين، وتجسد فى جلسة الرسم ليجالسني، ويشارك صديقه يسرى خميس، لم يمنعه الموت عن المشاركة فى قضايا الوطن. وها نحن معاً نتقدم إلى قارئ «أدب ونقد» بتلك القصائد المباشرة، والمتفجرة بشحنات الصدق، ترفض وتدين الممارسات الصهيونية الإسرائيلية، وتسمى الأشياء بأسمائها الحقيقية دون تلاعب بألفاظ ولا مواربة. أما هؤلاء الفئران الذين انبروا للدفاع عن الكيان الصهيونى وما يسمونه بالسلام الاستسلامى من العرب والمصريين، فليسوا أكثر من خدم مأجورين للنازيين الجدد فى إسرائيل وأمريكا. وهم لا يخجلون من أنفسهم، ولا يحسون أو يشعرون بغلظة جلودهم، وإنما يتحسسون جيوبهم المنتفخة بأوراق البنكنوت الأجنبية وتأشيرات السفر، ويتشدقون بتصاعد رصيدهم فى البنوك المختلفة.

فتحية للفنان هبة عنايت الذى آثر أن يشاركنا همومنا الوطنية، متحدياً الموت ومتجاوزاً المسافات.

محمود الهندي

أمجاد القديس شارون

بهدف التذكير بأمجاد القديس الجنرال «آريل شارون» أو البولدوزر (كما يسمويه الصهاينة) وهو فى غرفة الانعاش لفترة طالت، والصلاة من أجله والدعاء له بالشفاء كما طلب وزير الخارجية البريطانى (جاك سترو) من اللبنانيين فى زيارة رسمية له ببيروت، حتى يظل الوضع أمنا والسلام مستقرا كما نراه يوميا، وحتى لا ننسى بعض أمجاد الرجل التاريخية:

- مجزرة قبية ١٩٥٣
- ممر متلا ١٩٥٦
- احتلال قطاع غزة ١٩٧١
- تهريب الفلاشا من السودان إلى إسرائيل ١٩٨٢
- بناء الجدار العازل ٢٠٠٠
- إعادة احتلال الضفة الغربية ٢٠٠٢
- مجزرة جنين ٢٠٠٢
- اغتيال الشيخ أحمد ياسين ٢٠٠٤

تلك الأمجاد التى حولت (مجرم الحرب إلى قديس) كما يقول الصحفى الفرنسى الكبير دومينيك فيدال وجعلت چورچ دبليو بوش رئيس الامبراطورية الأمريكية الوهمية يطلق عليه لقب: «رجل السلام - شارون» فأصبح بطل الحرب والسلام!!

فلقد شارك فى جميع الحروب التى قامت بها إسرائيل وهو الذى أكد فى مقولته الشهيرة «إن حرب الاستقلال لما تنته بعد ولم تكن حرب عام ١٩٤٨ سوى الفصل الأول، فكل متر نكسبه متر يضاف إلى إسرائيل ولسوف تتواصل الحرب ما دامت المعارك لم تتح امتلاك الأرض الإسرائيلية» ومازلنا نذكر أنه منذ أن تولى الجنرال شارون قيادة الكيان الصهيونى رسميا وهو يمارس هو ورجاله القتل اليومى المباشر والغادر ضد الشعب الفلسطيني، كانت ذروتها اغتيال الرمز العظيم الشيخ أحمد ياسين! ويتشدق طول الوقت عن السلام والدفاع عن النفس، وها هو خليفته ايهود أولمرت يواصل السير على نفس الدرب بشكل أكثر شراسة وأحط قسوة - لكل ذلك

ولأسباب أخرى، ننشر مجموعة القصائد تلك للشاعر النمسوى إريش فريد.

إريش فريد (١٩٢١ - ١٩٨٨) لربما أمكننا لحد ما مواجهة تلك (اللامبالاة الهائلة) التى تلف العالم حولنا، وحتى يكون الفن (آلة الحفر) التى تستخرج (عدم الاكتراث) هذا، كما يقول الناقد جان هوت.

يقول الشاعر إريش فريد:

«لم أكن صهيونيا قط، كنت متدينا لفترة قصيرة أثناء طفولتى، كما أن انتمائى للغة الألمانية يحد من مجال تأثيرى، لكن قدر اليهود يهمنى ولاشك. آمل أن أكون يهوديا أفضل خارج الفهم المتعصب لليهودية، وخارج الشوفينية الإسرائيلية، أن أكون يهوديا خارج ذلك، أفضل من أكون متعصبا أو صهيونياً، بصرف النظر عن دوافعهم وأغراضهم، فهم فى الحقيقة يدفعون بجموع اليهود إلى وضع كارثى فى دولة إسرائيل الحالية.

إننى أعتبر هذه الأشعار بمثابة تحذير ضد الأساليب الخاطئة وضد الكثير من المعلومات المضللة، هذه الأشعار موجهة ضد الظلم الذى يمارس تجاه الفلسطينيين، كما أنها موجهة بالأساس ضد الصهيونية.

لقد كتبت أغلب هذه القصائد قبل ١٩٧٢، وصادفت الكثير من الصعوبات فى نشرها مما يعكس بشكل ما، الدور الذى تقوم به هذه الأشعار فى كشف الزيف ومحاربته مرة ثانية، أريد أن أؤكد أن موقفى تجاه الفلسطينيين لم يتغير إريش فريد-١٩٨٣).

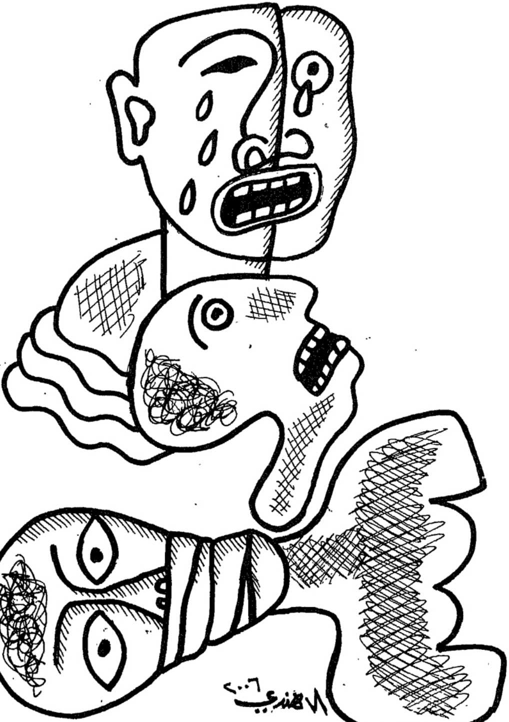
هكذا ظل إريش فريد (الذى اضطر للهجرة إلى إنجلترا وهو فى شبابه، بعد الغزو النازى للنمسا واضطهاد أسرته اليهودية وقتل أبيه على يد الجستابو، وعاش فى لندن ككاتب حر منذ عام ١٩٤٦ حتى آخر أيامه- ظل فى أشعاره التى تجاوزت الثلاثين مجموعة شعرية، متسقاً مع شعره/ مع نفسه تماماً، فلقد كان مشاركاً نشطا فى العمل السياسى المباشر، من إلقاء المحاضرات التحريضية، إلى المشاركة فى المظاهرات، إلى التوقيع على بيانات المعارضة، كما كان عضوا فى (محكمة راسل) التى قامت بمحاكمة ليندون جونسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية آنذاك، وأأين والصهيونية كفكرة عنصرية غير إنسانية، مدينة بحدة ما تفعله المؤسسة العسكرية الصهيونية ضد الشعب

الفلسطينى ، فاضحا دور الكيان الصهيونى كدور تابع بلطجى لخدمة الرأسمالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية بهدف تحقيق الحلم الأمريكى بالامبراطورية الجديدة.

أواجه موقف ذلك الشاعر بما كتبه شاعر مصرى صديق عام ٢٠٠٤ فأسهب عن «ذلك الملمح الكوزموبوليتانى فى الشعر الذى يبرز جوهر الإنسان لا عرضه، من حيث كونه (إنسانا كونيا) بغض النظر عن الجغرافيا والتاريخ، وبغض النظر عن الوطن والطبقات والهويات القومية الضيقة، فالإنسان هو الإنسان مهما كان لونه أو جنسه أو دينه أو وطنه أو دمه أو عقيدته السياسية. ملمح كوزموبوليتانى تجعله مهموماً فى السماء متعالياً عن الأرض الملوثة بالخطيئة والصواب لكن التوجه الثاقب إلى (الجوهر المشترك الباقى) الجوهر بين الإنسان والإنسان فى كل زمان ومكان، كل ذلك يمنح هذا الملمح إنسانية أرحب ونغمة لا تزول، وفى هذا الملمح يخفت الضجيج وتذوب التقريرات الساخنة ليصير النص لمسة رقيقة من الحنين والحنان: أى لمسة من الشعر»!!!

كما أواجهه مرة أخرى بما أعلنته مجموعة شعراء عرب مغاربة فى أوربا عام ٢٠٠٢ (أننا – هم وحدهم وليس نحن! – نقف إلى جانب الدفاع عن السلم والصداقة والحرية فى العالم، وهو ما يعطينا حجة أن نكتب النشيد الإنساني، والدفاع عن القيم الحضارية العليا وعن صفاء معنى الكلمات فى جميع جهات الأرض، فلا فرق بين شعب وآخر ولا بين لغة وأخرى ولا بين حضارة وأخرى ولا بين دين وآخر، فالشعراء قبيلة واحدة، وهم يسهرون على وهج الكلمات ويحظون بمشروعية التعبير عن القيم الإنسانية الخالدة، أن الشعراء هم أبناء لغة الصفاء فحقيقة الشعر هى صيرورة الرحيل نحو صفاء معنى الكلمات)!!!!!!!!

إلى هذا الحد يمكن للشعر/ للوعى/ للإدراك أن يحرز حتى من المقولات التى تقترب من المقدسات التى لا تناقش كثيراً على مدى التاريخ الإنسانى كالدين والجماعة والأسطورة.. إلخ إلى هذا الحد يمكن أن يسمو الشعر بالشاعر والشاعر بالشعر ويتعالى كلاهما فى اتجاه الحق والعدل، كما يمكن أن يكون الشعر فى الوقت نفسه مضللا ومزيفا وساذجا وتافها ومتحيزا ومفتعلا، بل وكاذبا غير مسئول.



إلى هذا الحد يعم الالتباس.

وعند هذا الحد أتوقف، مذكرا بما قاله الفيلسوف الكبير جادامر أنه «لا يمكن أن نفهم إلا من خلال انحيازاتنا، أى مشروطيتنا التاريخية والثقافية، وليس من خلال نزعها عنا».

يسرى خميس

بعض مما حدث

حوادث،
أماكن
سنوات
دير ياسين ١٩٤٨
قرية فلسطينية
قتل فيها ٣٥٠ فلسطيني
٢٥٤ فقط،
تبعاً للتصريحات الإسرائيلية

قبية في ١٤/١٠/١٩٥٣
نسفت القرية بكاملها
نساء، وأطفالاً، ورجالاً
انتقاما لامرأة يهودية وطفليها
قتلوا في ياهود
بعد أن طلبت السلطات الأردنية
ومعهم جلوب باشا
المساعدة من إسرائيل
في البحث عن الفاعل
فكان ما حدث
هكذا
كانت مساعدة إسرائيل
كفر قاسم ١٩٥٦
صدر الأمر بحظر التجول
في منتصف نهار اليوم
كان الفلاحون مازالوا في حقولهم
لم يعلموا بعد
بقرار حظر التجول

أثناء عودتهم إلي دورهم
استوقفوا
صفوا بموازرة الحائط
٥٦ فرداً
كانوا في حاجة
لكمية كبيرة من الطلقات

بحر البقر ١٩٧٠
كانت مدرسة كبيرة
مكتظة بالأطفال
كانت الوحيدة في المنطقة
هدف نموذجي للقنابل
لم يكن يعرف أحد بالضبط
كم عدد الأطفال
بعد القصف
لم يكن هناك أطفال كثيرون
في منطقة بحر البقر
وفي أبو زعبل ١٩٧٠
٧٠ عاملاً في طلعة طيران

وفي نهر البارد ١٩٧٢
أطفال قتلي مرة ثانية
في مخيمات اللاجئين

وفي الطريق إلي جوفايه ١٩٧٢
بجنوب لبنان
سيارة أجرة مهشمة
هرستها دبابة إسرائيلية
سبعة مدنيين

بينهم طفل في الثامنة من العمر

حوادث
كل ذلك مجرد حوادث
أما ما يفعله الفلسطينيون
فهو الإرهاب بعينه!

عن الوحدة ١٠١

غير قابل للتصديق
أن تعبر الوحدة ١٠١ الإسرائيلية
حدود إسرائيل
وتقتل أطفال ونساء ورجال العرب

غير قابل للتصديق
أن طلبة كلية الطب في إسرائيل
كانوا يأخذون جثث القتلي
من الوحدة ١٠١
لدراسة التشريح عليهم
بعد أن فشلوا في إقناع الحاخامات

غير قابل للتصديق
أن الضابط الأردني
الذي اعترفوا بقتله
لم يكن سوي طبيب لبناني
(الدكتور منصور،
وهو في طريقه لزيارة مريض)
وأنه قد توسل
لكل من ماير وشلوموخ
ألا يقتلاه
إدعي الجيش
بأنه لم يكن يعرف شيئاً
عن الوحدة ١٠١
بالرغم من أن الوحدة
كانت تبلغ القيادة رسمياً
عن كل تحركاتها
وخط سيرها بدقة
حتي لا يطلق الجنود عليهم
النيران خطئا
عند العودة

● الفرقة ١٠١: فرقة خاصة من فرق الجيش الإسرائيلي لا ترتدي الزي العسكري، قامت بمذبحة قرية قبية في ١٤ أكتوبر ١٩٥٣ بقيادة شارون.

● مايرهار صهيون وشلوموخ باوم: كانا أيضاً عضوين بارزين في تلك الوحدة رقي باوم إلي رتبة جنرال في حرب لبنان ١٩٨٣/٨٢، وأعطي هار صهيون مزرعة مكافأة له، وكانوا يرسلون إليه – في تلك المزرعة – أطفال المدارس لسنوات «حتي يتعلموا علي يديه فنون الحرب والعنف».

تصحيح

أرسل لي أحدهم
رسالة يقول فيها:
«أنني ككاتب
يجب ألا أسمي بيجين ورفاقه
بالقتلة»
فأنا يهودي
وأعرف جيداً
كيف أضع الألفاظ في مكانها
ويجب علي أن أقول:
«أنني أري
أن الوصف وصف غير عادل»

فكرت فيما قيل:
فعلاً، لقد تعرفت ككاتب
علي قتلة عديدين في السجون،
مانوا يقتلون دائماً بدافع الغيرة،
أو بدافع الانتقام
وغالباً، نتيجة اضطراب عنيف مفاجئ
في توازنهم الروحي والعقلي
والقليل القليل منهم
من قام بقتل أكثر من فرد
وأغلبهم كان يعاني بعدها
من الندم وتأنيب الضمير
وككاتب يعرف
كيف يضع الألفاظ في مكانها
وكيهودي يمسه الموضوع بشكل مباشر
أري أنني أخطأت فعلاً

وأن التعبير غير دقيق كما ينبغي
عندما سميت هؤلاء (قتلة)

ومن الآن فصاعداً
لن أسمي بيجين ووزيره شامير
وجنرالاته شارون أو إيتان أو باوم
(ومن يقف وراءهم
من اليهود وغير اليهود
الذين لا يعيشون في إسرائيل
بل غالبيتهم هناك غرب المحيط)
لن أسميهم (قتلة)
بل
سأسميهم (سفاحون)
يمارسون (القتل الجماعى)

عن إسرائيل وحرب لبنان

البعض يهاجمنى ويقول:
«نعترف
بأن ما فعله بيجين
وما فعله شارون
شيء فظيع
لكننا كيهود
يجب أن يكون نقدنا
بيننا وبين بعضنا
وليس للعرض علي الآخرين».

أرد عليهم قائلاً:

«يمكنني أن أتفهم ذلك
وأوافق عليه
لو أنكم استخدمتم
قنابلكم الانشطارية
وطلقات مدافعكم
وفوسفوركم الحارق
بيننا وبين بعضنا فقط
وليس بين الآخرين».

تشخيص

يسمونه
في مستشفيات بيروت
«العرض»
هذا يعني
أن أفواه النساء والأطفال
الذين كانوا مازالوا أحياء
كانت تظل تنفث الدخان
عندما يتنفسون
ذلك لأن فوسفور القنابل الفوسفورية
قد نهش الجلد واللحم
ووصل حتي نسيج الرئة
التي مازالت تحترق
وتطلق الدخان
(حتي بعد الموت).

هذا العرض
يجب علي المرء ألا يغفله
عند تشخيص
بيجين
أو شارون

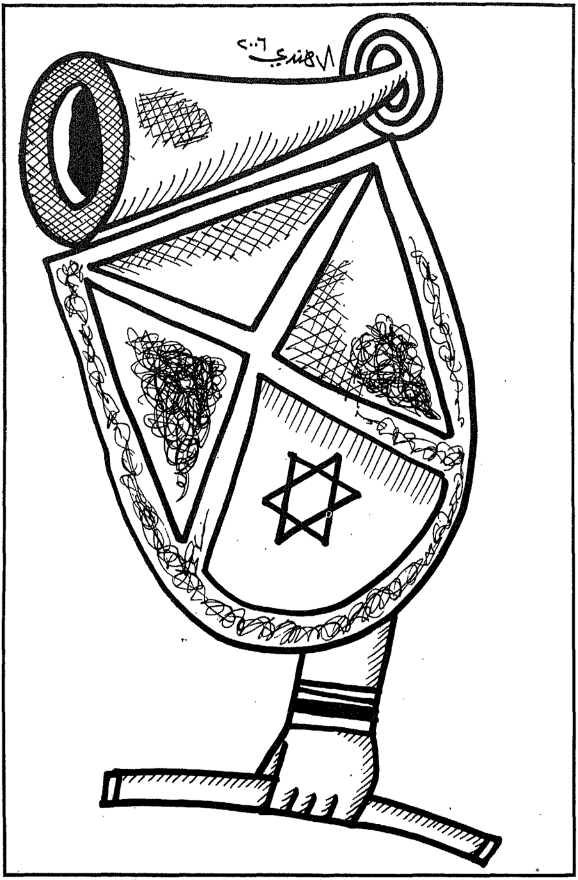
الجرافات

الجرافات في إسرائيل
أثبتت تضامنها
مع الجرافات الإسرائيلية في بيروت
وهي تقوم بهرس
وخلط جثث الفلسطينيين
مع حطام مخيماتهم

أعلن أن الجرافات
دمرت بعض قبور
قتلي دير ياسين

وسط إسرائيل
قالوا:
«دون قصد»
«علي سبيل الخطأ
أثناء عمليات القتل»

كذلك كان قتل الفلسطينيين
في صبرا وشاتيلا
أيضا علي سبيل الخطأ
أثناء
عمليات بناء



● مذبحة دير ياسين ١٩٤٨: بقيادة بيجين، تم فيها قتل أكثر من ٢٥٠ شخصاً، نساء وأطفالا، ورجال فلسطينيين.

● مجزرة صبرا وشاتيلا: بقيادة شارون، وقد تم نسف المخيمات تماماً بما فيها من فلسطينيين.

مجزرة صبرا وشاتيلا

١)

من الضروري
أن نتخلص من الزبالة والنفايات
التي تملأ قلوب وعقول الناس
بأوروبا وأمريكا
مثلما تخلصوا من نفايات وبقايا
جثث النساء والأطفال والعجائز
من اللاجئين الفلسطينيين
بمخيمي صابرا وشاتيلا في بيروت
كانت الفصائل العسكرية الإسرائيلية
تشارك يداً بيد
كما أكدت التصريحات الإسرائيلية
حرفياً
مع الكتائب المسيحية اللبنانية
ومع ميليشيات حداد
التي جاءت من الجنوب
وهم يضعون علي صدورهم
شجرة الأرز
لمساعدة شارون

٢)

تم التنسيق بين أفراد الكتائب
والضباط الإسرائيليين
وميليشيات حداد
وأعطيت الأوامر للاجئين
بصرف النظر عن من الذي أعطاها
أن يقفوا في صفوف منتظمة
ثم أطلقوا الرصاص عليهم
المجموعة تلو الأخري
عشرات أو أكثر
من النساء والأطفال والرجال
دون تمييز
وقاموا بالتمثيل بجثث البعض
بعد القتل
أو قبله
أما الذين حاولوا الهرب
فقد أطلقوا عليهم الرصاص

٣)

هكذا قتلوا آلاف البشر
وألقوا بالجثث في سيارات النقل
وذهبوا بها بعيداً

جثث أخري هرست بالجرافات
وخلطت مع نفايات وبقايا المخيمات
وربما تذكرت تلك الفصائل المسيحية
الواجب المسيحي
بضرورة دفن الموتي
نقول: ربما
لأن هذا لم يحدث
من الثابت،
أن الجرافات كانت جرافات إسرائيلية
قام بتجهيزها الجنرال شارون
وربما كان يقودها إسرائيليون
ومن الثابت أيضا أن الجرافات
جاءت بعد أن انتهت عملية القتل
وأنهم دفنوا بعض القتلي
لا يمكن التأكد من الذي حفر القبور
لكن المؤكد هو أن تلك الفصائل
قد قامت إسرائيل بتسليحها
وتدريبها، ودفع مرتباتها
وقد أحضرها شارون معه
أثناء احتلاله لبيروت
للقيام - خصيصاً - بهذه المجزرة

٤)

هؤلاء كانوا المسيحين الحقيقيين
الذين تكلم عنهم مناحم بيجين
عندما عاتب الباب
لأنه استقبل ياسر عرفات
وتساءل بيجين:
«ألا يعلم البابا
أن فلسطينيين يقتلون
هم أيضا المسيحيين؟»

٥)

وبمنطق بيجين هذا
لا يجوز قتل هتلر
ولا رجاله القتلة
ولا بافيليتش ورجاله
من منظمة أوستاشي العنصرية بكرواتيا
الذين كانوا يقلعون عيون ضحاياهم
قبل قتلهم
ثم يقومون بعد ذلك بتعميدهم
ويلقون بهم في الهاوية
كانوا هم أيضاً مسيحيين مخلصين

٦)

لم يشارك الجند الإسرائيليون
في هذه المجازر
هكذا قالوا
لكنهم وقفوا يشاهدون ما يحدث
بالقرب من المخيمات
وتركوا للكتائب وحدها
مهمة «إعادة النظام»
بينما قاموا فقط بمساعدتهم لحد ما
بواسطة الجرافات
التي قامت بالتخلص من جثث القتلي
وقد أثبتت التحقيقات الإسرائيلية نفسها

أن قادة الكتائب
كانوا يدبرون عمليات القتل
من فوق أسطح الدور المجاورة
التي كان يتمركز فيها
الجند الإسرائيليون
وأن الضباط الإسرائيليون
كانوا يقفون بجوارهم
يشاهدون عن بعد
عمليات القتل بمناظيرهم المقربة
ويستمعون بأجهزة تنصتهم
إلي الحوار الدائر
بين جنود الكتائب في المخيمات
وقادتهم فوق الأسطح
ويقهقهون

(٧)

ولنفترض أنه قد كتب علي كل القتلي
بقنابل الفوسفور
والقنابل المسمارية في بيروت
وعلي قتلي صبرا وشاتيلا
وعلي الفلاحين القتلي بالسلفادور
وفي نيكارا جوا أيام سوموزا
كما كتب علي قبورهم
من أين جاءت تلك الأسلحة
التي قتلوا بها
كم من مرة سنقرأ مكتوباً عليها

Made in Israel
أو Made in U.S.A

(٨)

وأسلحة من دول أخري كذلك
تقوم بخطأ فادح في هذا العالم
تعيس هو ذلك الزمن
الذي يكون فيه التعامل
بين البشر بالسلاح
تلك الأسلحة التي تسببت
في إراقة الكثير من الدم
دم بريء
ودم أكثر براءة
الجميع مذنبون
حقيقة يعلمها الجميع
لكنها تحولت إلي
جملة إنشائية
لا تفرق بين الذنب البسيط
والذنب الفظيع
(هكذا يدافع القتلة عن أنفسهم!)
ولا يخفون أيديهم
التي يتصاعد منها دخان الدم الطازج
أو الدم المتجلط حديثاً
وتشير بأصابعها الملطخة بالدم المتجلط
علي أياد أخرى
حيث يمكنهم القول:
«لم تكن بريئة تلك الأيادي أيضاً!»

(٩)

هناك إسرائيليون ينكرون كل ذلك
أو يقولون:


٢٠٠٦

لقد طلب جنودنا
دخول فصائل الكتائب إلي المخيمات
لاستبعاد الإرهابيين الفلسطينيين
والإرهابيين اللبنانيين
لهذا السبب وحده
قمنا بتغطيتهم بدباباتنا
أما نحن
فلم تطأ أقادمنا المخيمات
أو يقولون:
عندما لاحظنا
أنهم يفقدون السيطرة علي الموقف
حاولنا أن نوقفهم
وصحنا عليهم بمكبرات الصوت
لكنهم كانوا قد أجهزوا بالفعل
علي عدة مئات
وهكذا تم إنقاذ الكثيرين
بمجيئنا إلي بيروت
هذه المبررات يقدمونها
كإجابات علي الأسئلة التي توجه إليهم
من الصعب ألا تعقد المقارنة
بين هؤلاء الذين يتحدثون
بتلك اللهجة
وبين آخرين في زمن مختلف
في بلد آخر
قاموا بإنكار ما فعلوه
أو حاولوا التقليل من شأنه

إسرائيليون آخرون
قاموا بتنظيم مظاهرات
في شوارع إسرائيل.
ضد هذه المجزرة
وألقي عليهم رجال بيجين
القنابل اليدوية
فقتلت البعض
وجرحت كثيرين
بينما كان رجال بيجن يصرخون فيهم:
«نعمل منكم صبرا وشاتيلا أخرى!».

(١٠

أصبح من الضروري
مثلما كنست نفايات وبقايا
جثث القتلي الفلسطينيين
التي انكشفت في صابرا وشاتيلا
أن تكنس الزبالة والنفايات
التي تملأ عقول وقلوب الناس
في أوربا وأمريكا
نفايات وبقايا الأكاذيب القديمة
والأحكام المسبقة
التي قامت بسحقها
الحقيقة القاسية
حتي يمكن أخيراً كنس القتلة
والذين يقفون وراءهم
بصرف النظر
عن مواقعهم أو مناصبهم
سواء كانوا مسيحيين أو يهود
وبعض المسلمين أيضاً
الذين يساعدون هؤلاء القتلة.

دراسة

محمد مندور وقضية فلسطين

د.إيمان السعيد جلال

كتب محمد مندور فى أعقاب حرب ١٩٤٨ مقال «لن نقبل الركود لقضية فلسطين»(١). يقول: «لقد تنفس العرب الصعداء عندما تحركت الجيوش العربية فى ١٥ مايو الماضى للقضاء على عصابات الصهيونيين، وتخليص العرب من آثامها، والمحافظة على فلسطين الشهيدة قطرًا عربيًا موحدًا، وبخاصة إذا ذكرنا أن كبح جماح الصهيونيين لن ينقذ فلسطين وحدها منهم، بل سينقذ البلاد العربية كلها، إذ إنهم كالسرطان الذى يخشى أن يتشعب فى جميع الجهات، وأن ينفث سمومه فى جميع الأقطار العربية حتى ليصح القول بأن كل عربى إنما خفّ للدفاع عن نفسه عندما أرسل جيوشه إلى القطر الشقيق».

وتحدث عن قرار تقسيم فلسطين من منظور عبث الدول الكبرى بالبلدان العربية ومصائرها فى مقال «عبث الدول الكبرى يرسم للعالم العربى سياسته الخارجية»(٢) يقول: «أخذت أمريكا تناصر الصهيونيين بكافة السبل حتى انتهى بها الأمر إلى استخدام نفوذها الضخم لتحصل فى تلك الجلسة التاريخية الخطيرة، جلسة ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ على ذلك القرار الظالم العجيب، قرار تقسيم فلسطين، وشاءت روسيا فيما يبدو أن تفسد على أمريكا خطتها فى كسب الصهيونيين المنبثين فى العالم أجمع إلى جوارها، فقالت هى الأخرى بالتقسيم، بل وتحمست له فوق تحمس أمريكا وصمد العالم العربى للقرار الجائر، وأدهش تلك الدول الكبرى المتغطرسة الظالمة

بمقاومته بالسلاح والنار. لذلك المشروع الآثم حتى أعلنت لجنة فلسطين نفسها استحالة تنفيذه، وذلك ما لم ترسل الدول قوات حربية تنفذ هذا المشروع بالقوة ولما كان من المتوقع في حالة ارسال مثل تلك القوات أن يكون للروس فيها جند، فإن أمريكا - فيما يبدو - قد أخذها الهلع هي ومعسكرها، فبادرت إلى العدول عن تأييد مشروع التقسيم واقترحت رد الموضوع كله إلى الجمعية العمومية .

وهكذا يتضح أن المناورات قد كانت الحافز الأول لموقف تلك الدول من مشكلة فلسطين، وأن الأمر لا يعدو معركة تدور بينها لكسب أنصار ومناطق نفوذ وأما مبادئ الحق والعدل وما إلى ذلك، فتلك أشياء قد ماتت، إن كانت قد عاشت على الإطلاق في أي يوم من الأيام».

(٧) المحالفة العسكرية والدفاع المشترك

شعر محمد مندور بالتقارب بين الإنجليز والفرنسيين في توجهاتهما الاستعمارية عند قرب انتهاء الحرب، وظهر هذا التقارب في ميلهما إلى تطويق البلاد العربية كلها في محالفة عسكرية سياسية واقتصادية، لا تزيد في آخر الأمر عن كونها شكلاً استعماريًا جديدًا.

وكانت بريطانيا تهدف إلى عقد محالفة عسكرية مع مصر، تضمن لها أن تتخذ منها قاعدة عسكرية للسيطرة على منطقة الشرق الأوسط، زاعمة أنها تحميه من الخطر السوفييتي الذي يهدد سلامة المنطقة

كتب مندور منبهًا إلى هذا المخطط الاستعماري الجديد. يقول في مقال: «سياسة الاستعمار»(٣). «وهذه هي السياسة التي أخشى أن تكون قد بيتت بالفعل، وهي ترمي إلى أن تحمل البلاد العربية على قبول الجيوش الأجنبية ببلادنا، ورءوس الأموال الأجنبية أيضًا حتى يكون الاستعمار سياسيًا واقتصاديًا معًا، وهم يريدون أن يكون هذا البقاء بقبول منا، وذلك بتأييدهم لما نبغي من وحدة، حتى إذا تمت، عقدوا محالفة عسكرية مع العالم العربي كله، وعززوا هذا التحالف باتفاقات خاصة بينهم وبين دولنا لإنشاء قواعد جوية وبحرية وعسكرية مشتركة بينهم كما ينظمون استغلال ممالكنا اقتصاديًا بواسطة مجلس اقتصادي يريدون إنشاءه»

وكتب يوضح المخطط الاستعماري البريطاني لاستمرار السيطرة على مصر تحت اسم الدفاع المشترك. في مقال عنوانه «هل يصل الإنجليز إلى ما يريدون»(٤). «وها هم الإنجليز قد تمادوا في سخريتهم منا، وبلغ بهم الخبث الاستعماري أن اخترعوا مجلسًا مشتركًا للدفاع، تواترت الأنباء لسوء الحظ أن الحكومة المصرية الحالية، ومعها نفر من المفاوضين قد قبلوا مبدأه، وراح رئيس الوزراء، ورئيس المفاوضين يهون من خطره الداهم، إما بالقول بأنه استشاري، وإما بمحاولة ربطه بنظام الأمن الإقليمي أو بقياسه باتفاق كندا والولايات المتحدة، وكل هذه حجج باطلة كما أوضحنا نحن، ووضح غيرنا من رجال السياسة والقلم. فالاستشارة عرفنا من سنين أن معناها عند الانجليز الإملاء وأما ربط هذا المجلس الذي

سيتحكم فى جيشنا وفى كافة مرافقنا وطرق مواصلاتنا وموانينا ومطاراتنا بصفة دائمة، كما قال رئيس الوزراء نفسه، فاسر واضح البطلان

وليست مصر مجاورة لإنجلترا، ولا مكافئة لها، ولا طليقة من سيطرتها الاستعمارية كما هو الحال بين كندا والولايات المتحدة، ولقد كان فى خلق مجلس الأمن ما كفى ويكفى عن مثل هذه الاتفاقات، والتى لا علاقة لها إطلاقا بدعوى المحافظة على الأمن والسلام الدوليين».

(٨) القوى الدولية الجديدة

وهى القوى الصاعدة فى أعقاب الحرب العالمية الثانية فقد خرجت الإمبراطورية البريطانية من الحرب وقد تفوقت عليها قوتان عظميان وقد أكد مندور فى مقالاته أن الشرق العربى لن يستبدل سيدًا بسيد، أى آنه لن يستبدل الاستعمار السوفييتى بالاستعمار الإنجليزى أو الأمريكى. وبيّن نموّ الوعى السياسى المصرى والعربى، بما جعل العرب جميعًا يبغضون الاستعمار أيًا كانت وجهته.. يقول فى مقال: «الشرق الأوسط بين روسيا وإنجلترا»(٥): «الجنس العربى كله لم يعد يطيق صبرًا على الاستعمار، أيًا كان المستعمر وهو بلا أدنى ريب لا يريد أن يستبدل سيدًا بسيد، وإنما يريد أن يتحرر، لأنه يعتقد أنه وصل من الوعى السياسى والتقدم المادى إلى مرحلة لا يمكن أن يستمر معها استعماره».

ويؤكد مندور أن الشرق العربى – ومعه مصر – يريد فى إطار هذا الوعى أن يستعين بالاتحاد السوفييتى، وأن يفيد من تأييده لقضاياه دون أن يعنى ذلك وقوعه تحت سيطرته: «من الطبيعى أن يستمع العالم العربى بسرور إلى معاضدة روسيا لقضاياه الوطنية، وليس يعنيه بعد ذلك أن تكون روسيا مدفوعة إلى ذلك بدافع أنانى أو إنسانى، وهو يدرك تمام الإدراك أن البشرية ليست بها ملائكة، وأن المنفعة لابد آن تمازج كل شعور، وأن تنازع البقاء وتصارع القوى جبِلّة ثابتة فى البشر»

●●●

ثانيًا: القضايا الاقتصادية والاجتماعية

نشر محمد مندور عقب عودته من فرنسا مقالات عدة فى مجلة الثقافة، اتجه فيها إلى عرض أفكار كلية؛ وربط بين مشكلات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى مصر ربطًا وثيقًا كما فعل فى مقال دستور الإصلاح، بؤسنا المادى ١٩٤١/١٠/٢١. ومقال: الثقافة والديمقراطية الاجتماعية ١٩٤٣/١١/٢ ثم قام بعد ذلك ببسط هذه الأفكار المترابطة المتداخلة حينما آتيحت له فرصة رئاسة تحرير المصرى، والوفد المصرى والبعث وصوت الامة.

وإذا كانت الشهور الثلاثة التى قضاها فى رئاسة تحرير «المصرى» غير كافية لعرض أفكاره الإصلاحية فى السياسة والاقتصاد والاجتماع، فإن فرصته كانت رحبة فى الصحف الاخرى

انطلق محمد مندور فى تأمله الحالة الاجتماعية المتردية لطبقات الشعب الفقيرة من الحالة الاقتصادية، ومن ثم فإن الإصلاح الاجتماعي غير منفصل عن الإصلاح الاقتصادى كتب فى مقال «مشكلة الفلاح»(٦) يقول: «الأساس العام لحل مشكلة الفقر فى البلاد هو العدالة فى تمكين الأفراد من وسائل الإنتاج، وكسب كل رجل قوته اليومى بعرق جبينه».

لذلك رفض مندور إحسان الغنى على الفقير، وطالب بإعادة توزيع الثروة فى مصر، وأكد أن ذلك لن يكون بتحديد الملكية الزراعية، وإعادة توزيع الأراضى فقط، بل بإعادة توزيع العقارات والمصانع والمناجم وغير ذلك.

«إن الحل الطبيعى لمشكلة الفقر فى البلاد سيحتاج بلا ريب إلى استغلال أتم لمصادر ثروتنا، وتنمية لإنتاجنا العام، ولكنه أيضًا متعلق أشد التعلق بمشكلة التوزيع، ولهذا لا نستطيع إلا أن نؤيد الاقتراح الذى تقدم به الشيخ المحترم محمد بك خطاب إلى المجلس لوضع حد أعلى للملكية، كما أننا مازلنا نطالب بإتمام تشريعات العمال والفلاحين بوضع حد أدنى لأجورهم، وتنظيم وسائل التأمينات الاجتماعية التى تقيهم شر التعطل والشيخوخة والمرض وذل الإحسان.

ثم إننا قلنا ونكرر أنه لم تعد فى بلاد العالم المتمدين أمم لا تأخذ اليوم نظمها المادية بمبدأ التصاعد فى الضريبة غير مصر، وهذا المبدأ هو الذى سيمكن الحكومة من أن تنمى مواردها لتنهض بمرافق هذا الشعب المسكين. وثمة ضريبة التركات، وهى الضريبة الوحيدة التى تتناول رأس المال بإعادة التوزيع، لماذا لا تقرر فى نسب تصاعدية كافية لإعادة توزيع الملكية فى بلاد لا يستند فيها حق الملكية تاريخيًا إلى كسب الإنسان وعرق جبينه

هذه هى السبل فليسلكها وليدعُ إليها من يريد فى شجاعة حل مشكلتنا الاجتماعية. وأما الإحسان، وإطعام الإنسان لأخيه الإنسان وجبة طعام شفقة به، فذلك شعور جارح لكل إحساس إنسانى، وهو خليق بأن يميت فى نفوس أبناء هذا الشعب الكريم ما فيها من كرامة».

ويؤكد فى مقال «الحرية الاقتصادية والحرية الاجتماعية»(٧) على ضرورة الجمع بين المشكلتين الاقتصادية والاجتماعية ومن ثم الجمع بين الحريتين الاقتصادية والاجتماعية «لأن مشكلة الفقر والتحرر من استعباده إنما هى مشكلة إنتاج الثروات، وتوزيعها معًا، ولن يغنى علاج الإنتاج عن ضرورة علاج التوزيع ووضعه على أسس سليمة من العدل. وفى المبدأ القائل بأن لكلٍ بحسب كفاءته، ولكل كفاءة بحسب ما تعمل، ما يغنى عن كافة المذاهب وهذا مبدأ أخلاقى إنسانى لا يمكن إلا أن يقبله كل ضمير إنسانى وكل تفكير سياسى نزيه».

«إن باستطاعة بلد من البلاد أن يقضى على الاستغلال الأجنبى، وأن ينمى موارد الثروة فى بلاده، ومع ذلك لا تتحقق الحرية الاجتماعية فيه وذلك لانتفاء ما سميناه ولا نزال نسمية

بالعدالة الاجتماعية

إنه من الممكن أن نتصور بلدًا من البلاد يعج بالثروات، ومع ذلك يظل السواد الأعظم من شعبه مستعبدًا للفقر مستذلاً للعوز، وذلك لأن طريقة كسب الثروات وطريقة توزيعها بين الناس لا تستند إلى أسس عادلة: فلا العامل يحصل على ثمرة عمله، ولا الموظف يتقاضى المرتب الذى يتفق مع وضعه الاجتماعى ومسئولياته فى الحياة، ولا أعباء ضريبية توزع على أسس عادلة، ولا الدولة تنهض بواجباتها العاجزة عن القيام بمطالبها لتأصل الآفات فيها».

وطالب مندور بتدخل الدولة لضمان كثير من الحقوق، وهو مبدأ عرف فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر، وظهر باعتباره رد فعل لمذهب الحرية فى الحياة الاقتصادية. وتدخل الدولة فى الحياة الاجتماعية يتيح التوازن بين الطبقات، ورعاية حقوق كل طبقة.

كتب فى مقال «وظائف الدولة»(٨) يقول: «فى الحياة الاجتماعية، نرى أن مصر بلغ فيها الظلم الاجتماعى حدًا كبيرًا، وإذا كان العالم كله قد سار نحو التدخل لإنصاف الطبقات المظلومة، أنأتى نحن اليوم ونقول للدولة خذى بمبدأ الحرية، مبدأ سميث وريكاردو، ودَعِ الفرد يعمل، والتجارة تمر؟ لقد أسفرت تلك النظرية عن الحالة التى يعانيها كثير من الشعوب، وياليت القوى كان قويًا بنفسه ولكنه قوى بالوراثة، فصاحب رأس المال يستغل العامل، والمالك يستغل الفلاح والناشر يستغل الكاتب، وليس لهؤلاء إلا أن تحميهم الدولة. لقد وضع العالم المتحضر تشاريع العمال، وهذا هو التدخل، واستخدم نظام الضرائب لتحقيق العدل الاجتماعى، وهذا هو التدخل، وأقام الهيئات تفصل بين صاحب العمل والعمال، وهذا هو التدخل. والدولة بعدُ لم تعد حاكمًا مستبدًا، بل أداة تنفيذ لإرادة الأمة. ثم من الذى سيضمن للفرد علاجه من المرض وقوته إذا أدركته الشيخوخة، أو العاهة أو البطالة، أنترك ذلك للشعب؟

بقى النشاط الاقتصادى وهنا تدور المعركة.. فأصحاب الديمقراطية الحرة يرون أن المنفعة الشخصية هى أهم ضامن للنجاح فى الحياة الاقتصادية. والدولة كشخصية معنوية ينقصها هذا الحافز. وهم يريدون أن يتركوا الفرد ينمى فى نفسه روح المبادأة، والقدرة على تحمل المسئوليات.. ولكن المصلحة الفردية مصلحة أثرة مدمرة، فهناك مصلحة الأمة، ومصالح الأفراد الآخرين، فإذا تعارضت مصلحة الفرد مع مصلحة الجماعة أو مصلحة الفرد مع مصلحة فرد آخر من يوفق بين هذه المصالح إن لم تكن الدولة؟

انظر مثلاً إلى شركات الاحتكار كشركات الماء والكهرباء ببلادنا، ماذا يكون مصيرنا إذا لم تتدخل الدولة لحماية مصالحنا نحن المستهلكين؟».

ومن ناحية أخرى يشيد مندور باتساع فهم مواطنيه لقضايا الوطن، ونمو وعيهم بمشكلاته التى لم تعد سياسية فقط، واندفاع المواطنين طلبةً وعمالاً إلى ساحة النضال. كتب عند تأسيس اللجنة الوطنية للعمال والطلبة مباركًا هذا التفاعل بين فئات الشعب، وهذا الاقتحام

لقضايا الوطن المعلقة كتب في مقاله «حدث خطير اتصال المثقفين بالعمال»(٩)
«في سنة ١٩١٩ كانت الحرية سياسية بحتة، فليس لها إلا هدف واحد هو إلغاء الحماية وتحقيق الاستقلال، وأما اليوم فقد اصبح من الواضح أن الحركة القائمة لا تعتبر تحقيق الاستقلال نفسه الغاية النهائية التي يقف عندها الجهاد، وذلك لأن الفرد قد أصبح يدرك ادراكًا واضحًا أنه لا خير في إلغاء الرق الخارجي إذا دام الرق الداخلي جاثمًا على صدره، وأنه لا جدوى من أن يصبح الوطن عزيزا إذا ظل الفرد ذليلاً، بل إن التخلص من الاستعمار نفسه ليس إلا وسيلة لرفع مستوى الحياة بين طبقات الشعب، وذلك بمنع الأجنبي من أن يستغل مصادر الثروة في بلادنا.

وليس بكافٍ أن ندافع عن قوتنا وقوت أبنائنا ومواطنينا ضد الأجنبي، بل لابد من أن ندافع عنه أيضًا ضد المستغلين من المصريين من الأثرياء الجشعين حتى تتحقق العدالة بين الناس، وتتاح الفرص لكافة المواهب، ويفسح المجال لكل نشاط إنساني منتج

وهذا التفكير هو أقصى ما كنا نطمع فيه، والبلاد كانت بلا ريب سائرة نحوه، ولكنه قد ظهر أخيرًا بصعوبة واضحة، وما نظنه سيقف بعد اليوم. قبل أن يبلغ أهدافه التي تتلخص في الديمقراطية السياسية والعدالة الاجتماعية إلى جوار استقلال وادى النيل».

«والذي لاشك فيه هو أن الأمر لم يعد يحتمل تسويفًا، فجموع الأمة عاقدة العزم على تغيير الأوضاع الاجتماعية القائمة وإعادة النظر في الهوة السحيقة التي تفصل بين الغنى والبؤس في مصر»

«وإذا كانت هناك طبقة كبيرة من الأمة، وهي طبقة الفلاحين لم تدرك بعدُ مدى ما هي فيه من بؤس، ولا تحركت للخلاص منه فإن ذلك آتٍ عما قريب»

الهوامش والتعليقات

(١) جريدة صوت الأمة، ١٩٤٨/٧/٢٦

(٢) جريدة صوت الأمة، ١٩٤٨/٣/٢٦

(٣) جريدة الوفد المصري، ١٩٤٥/٢/١٩

(٤) جريدة الوفد المصري، ١٩٤٦/٧/٨

(٥) جريدة الوفد المصري، ١٩٤٦/١/٧

(٦) جريدة الوفد المصري، ١٩٤٥/٤/١١

(٧) جريدة صوت الأمة، ١٩٤٨/٢/٤

(٨) مجلة الثقافة، ١٩٤٤/١/١١.

(٩)مجلة البعث، ١٩٤٦/٣/١

كُتاب العدد

الصفيحة وقصص أخرى

إيمان عبد المـؤمن

إذا كان (المشروع القومى للترجمة) مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ، ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل ، ويهدف إلى تقديم مختلف الإتجاهات والمذاهب الفكرية للقارىء العربى وتعريفه بها ، معتمداً على عدة مبادىء منها الإنحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب ، كانت هذه الإطلالة الثرية على (٢١) نموذج من القصص التركية القصيرة ، لواحد من أكبر كتاب الأدب التركى المعاصر وهو (يشار كمال) فى كتاب يقع فى (٥٨٦) صفحة ، ضمن إصدارات لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة ، تحت عنوان (الصفيحة وقصص أخرى) ، وهى ترجمة عن اللغة التركية المعاصرة للدكتور .. الصفصافى أحمد القطورى ، وهو دكتور فى الآداب فى اللغات الشرقية وآدابها (اللغة التركية) من جامعتى إستانبول وعين شمس ١٩٧٦م ، يقوم بتدريس اللغة التركية بثقافاتها وحضاراتها فى كل الجامعات المصرية والعربية ، وأستاذاً زائراً فى بعض الدول الأوروبية ، شارك فى العديد من المؤتمرات المتعلقة بالإمبراطورية العثمانية والثقافة والحضارة التركية الحديثة والمعاصرة ، وله العديد من الأبحاث والكتب المؤلفة والمترجمة عن الحضارة

الإسلامية والتراث التركى الإسلامى ، وكتب حول الثقافة والحضارة التركية السلجوقية والعثمانية والتركية المعاصرة ، حاز على العديد من الميداليات وشهادات التقدير والتفوق عن أبحاثه المتميزة وكان آخرها الجائزة الأولى من رابطة الأدب الإسلامى العالمية فى مجال ترجمة المجموعات القصصية عام ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م ، وأستاذ متفرغ ورئيس شعبة الدراسات التركية فى مركز بحوث الشرق الأوسط والدراسات المستقبلية - جامعة عين شمس - حالياً .

يكشف لنا هذا الكاتب الجاد بهذه الإطلالة الهامة عن الأديب الفذ (يشار كمال) الذى يقف فى مصاف القصاصين العالميين الكبار ، بالقدر ذاته الذى يقف به كروائى عظيم فى الأدب التركى المعاصر ، والكاتب الصحفى أيضاً الذى كتب فى المسائل السياسية والإجتماعية وفى مشاكل الفن والأدب والثقافة ، والتى ترجمت أعماله المتداولة وبانتشار واسع فى تركيا وخارجها إلى مايقرب من أربعين لغة فى أكثر من خمس وثلاثين دولة ، وفى مائة وخمس وثمانين طبعة أصلية ..! ، مما جعله يحصد العديد من الجوائز والنياشين المحلية والعالمية ، ويمنح أكثر من عشر درجات دكتوراه فخرية من دول أوروبا وأمريكا ، ويتردد إسمه فى دهاليز (نوبل) عدة مرات ، والتى لولا اشتراكيته وتركيته وكرديته واسلاميته وشرقيته المسيطرة على كل أعماله لكان من أصحابها منذ سنين ، ومع هذا كله لم يهادن أبداً على مبادئه أو فلسفته التى آمن بها .

ويرى الكاتب أن شريان الحياه الذى يغذى عبقريةَ هذا الأديب المتوقدة والتى تتجلى فى قصه المتدفق وسبكه الجياش ومتابعته اليقظة وتصويره النقدى النافذ وخياله الرحب وأسلوبه الفريد وحواره الإنسيابى المنطلق هو عمله فى أكثر من أربعين مهنة ، والذى أكسبه زخماً رائعاً عن النفس البشرية وطبائعها ، مما انعكس فى كل أعماله التى إنتصر فيها للإنسان وللطبيعة المفعمة بالثراء ، البعيدة كل البعد عن الطبيعية ، والتى تميزت بقيمة فنية وفكرية عالية نجحت عن جدارة فى نقل الأدب التركى المعاصر من المحلية إلى العالمية .

ويستعرض الكاتب بعمق شديد حياة (يشار كمال) ، الذى ولد فى شهر أكتوبر (١٩٢٣م - ١٣٤٢هـ) فى قرية (كوكجة لى) بمحافظة أضنة .. لأسرة ذات أصول كردية - تركمانية ، هاجرت إلى (جوقوروفا) شرقى الأناضول ، خلال الحرب العالمية الأولى . الأب (صادق) يعمل بالزراعة وتجارة الأغنام ، والأم (نيكار) .

بدأ الطفل فى قرض الشعر ، وعزف الرباب ، مقلداً الشعراء الشعبيين الذين التقى بهم وسمع عنهم فى بيت العائلة ، الذى كان يستقبل بعضاً من ثوار الفلاحين ، والمهربين ، والأشقياء الخارجين على القانون ، وشعراء الرباب ، وقصاصى السير والملاحم .

تعانى العائلة الأمرين – بعد فقد الوالد – فى صراعها من أجل البقاء ، فيعمل (كمال) و (أمه) فى الأراضى الزراعية ، ويتم تعليمه الإبتدائى وهو يعمل فى مصنع للغزل وورشة للأحذية أثناء العطلات الرسمية ، ويتفوق فى الدراسة ، ولكنه يقرر تركها فى نهاية المرحلة الإعدادية رغم محبة معلميه واعتراضهم ، وعندما ينال منحة تعليمية إثر إحدى المسابقات ، لمواصلة الدراسة ، يصر على موقفه ، ويتنازل عن المنحة لواحد من الأطفال المهاجرين .

كانت الحياه بالنسبة له هواء طلقاً فسيحاً ، فينطلق إليها حـراً محلقاً بجناحيه ، وهو مازال طرى العود غض البنيان ، حيث يترك نفسه للعمل كأجير فى حقول القطن ، وعلى ماكينات الدراس خلال موسم الحصاد ، وحارساً لمياه الرى فى موسم زراعة الأرز ، وحارساً لبساتين البطيخ والشمام والخضار خلال شهور الصيف ، ومشرفاً للبناء ، ومقاولاً للأنفار ، ومدرساً احتياطياً فى إحدى القرى ، وجابياً فى شركة للغاز ، كما يمارس بعض المهن الأخرى ، حتى غير وبدل ما يزيد على أربعين مهنة ، ليسكن فى قلبه مختلف ألوان القهر الإجتماعى ، ويعيش شتى أنواع الإستغلال : إستغلال الإنسان لأخيه الإنسان .

وخلال هذه السنوات يظهر الفتى ميلاً كبيراً للأدب وجمع التراث الشعبى ، فيتجول فى أنحاء (جوقوروفا) متخطياً الجبال والوديان والوهاد وراء المأثور من الشعر ، والمثل ، والسير ، والملاحم ، والبكائيات .

وخلال سنوات الحرب العالمية الثانية ، يلعب الأخوان (عارف دينو) و (عابدين دينو) ـ من القادة الإشتراكيين التقدميين المعروفين فى تركيا ـ دوراً إيجابياً مهماً فى خلق علاقة حيوية بينه وبين التطور المعاصر للعلم والفكر والأدب والفنون والثقافة فى العالم ، فتتصلب المفاهيم الديمقراطية عنده ، ويتعرف على الماركسية والأفكار الإشتراكية ، مما يضعه على اتصال مع الحلقات الثقافية والسياسية والاجتماعية المتعددة .

ويقول (يشار) عن الأخوين (دينو) : " كانا إنسانين ذوى روح عظيمة بالنسبة للفكر الأكثر تقدماً آنذاك ، علاقتى معهما كانت ممتعة للغاية . أنا كنت إنساناً من الشعب ، من قاع المجتمع ، يعمل فى حراسة مياه الرى والفلاحة ، وهما كانا من كبار المثقفين والمفكرين ، لقد شملانى بالرعاية وقادانى إلى الفكر والأدب العالمى : إلى دون كيشوت وماركس وإنجلز ولينين وغوركى ، وأنا استقبلتهما وقدمتهما إلى الأجراء المزارعين ، إلى المطحونين فى حياتهم ، وإلى الشعراء الشعبيين ، إلى المراثى والتهكمات الشعبية " .

ويقوده (عارف دينو) إلى كنز حياته ، عندما يجعله يعمل ساعياً فى مكتبة " بيت الشعب " بأضنة ، ليظل يقرأ طوال الثلاث سنوات التى قضاها فى المكتبة ، وخلالها يعقد صداقة متينة مع الكاتب التركى الشهير (أورخان كمال) فى عام ١٩٤٣م – ١٣٦٣هـ ، ليدخل بذلك

أوساط الطبقة العمالية العاملة والحركة الثورية العمالية .
وفى عام ١٩٤٦م - ١٣٦٦هـ يغادر (يشار) أضنة إلى أنقرة واستانبول ، ويتصل بالأوساط السياسية والأدبية اليسارية ، ويخوض حياه ثقافية وسياسية اجتماعية حية ، ويعايش عن كسب إرهاصات تعدد الأحزاب فى تركيا وانتقال الصراع والنقاش والجدال من السياسة والديمقراطية إلى الدين والعلمانية ، وخلالها يكتب أولى قصصه القصيرة (حكاية قذرة) ، كما يقوم بدور فعال فى تطوير النشاط الأدبى لما يسمى (البيت الشعبى) فى أضنه والذى كان يجمع لحسابه المواد الفولكلورية بالإضافة إلى مواد أخرى لكتاباته المستقبلية .

وفى عام ١٩٤٨م - ١٣٦٨هـ يكتب قصتيه (الرضيع) و (دكانجى) ، ويشارك فى الحياه السياسية والاجتماعية فى المدينة ، كما يقود معركة إلغاء زراعة الأرز فى الأقاليم لما تسببه من ملاريا فتاكة .

يتهم ملاك الأرض الكبار وإقطاعيوها (يشار كمال) بالنشاط الشيوعى والعمالة لروسيا ، يعتقل فى ٣ أبريل ١٩٥٠م - ١٣٧٠هـ ، ثم يودع سجن قوزان ، حيث يتعرض للتعذيب الوحشى ، ويطلق سراحه بعد خمسة شهور ، لكنه يظل دائماً تحت الملاحظة والمراقبة والمطاردة ، وكثيراً ما كان يستدعى إلى أقسام البوليس ، ليذوق طعم العذاب من جراء ملاحقة الملاك والإقطاعيين ، والافتراءات والتهم الكاذبة التى كانت تحاك له .

يعمل (يشار كمال) عرضحالجياً لفترة أخرى ثم يعمل فى شركة للغاز لعدة شهور ، وفى سنة ١٩٥١م - ١٣٧١هـ يكتب روايته (شجرة الرومان التى فى الجب) بعدها يعود إلى استانبول ، ليلتحق بقسم (أخبار الوطن) كمحرر تحقيقات صحفية فى جريدة (الجمهورية) .

أصبح (يشار كمال) يعيش ويلفت الأنظار بتحقيقاته الصحفية البارزة ، التى تنتقد الأحزاب السياسية البورجوازية ، مطالباً وداعياً إلى إعطاء حريات أوسع للجماهير ، وإلى المحافظة على الدستور والقوانين وحقوق الإنسان ، ويفوز بجائزة (جمعية الصحفيين) عن أحسن ريبورتاج صحفى ، ليصبح أحد أشهر كاتبى التحقيقات وأكثرهم موهبة فى تركيا ، فيقبل للعمل فى الجريدة كمصحح أولاً ، ثم يصير محرراً .

ويشهد عام ١٩٥٢م - ١٣٧٢هـ صدور أول مجموعاته القصصية " القيظ " ، وفى عام ١٩٥٥م - ١٣٧٥هـ يكسب جائزة أحسن رواية من مؤسسة (وارلق) ، وفى أثناء العام ذاته ينشر (الصفيحة) ، فتحدث دوياً فى الأوساط الثقافية والفنية ، وفى عام ١٩٥٧م - ١٣٧٧هـ يتوالى إنتاجه بغزارة .

ويستقيل من جريدة الجمهورية فى عام ١٩٦١م - ١٣٨١هـ ، ليكون من بين الأوائل الذين

احترفوا الأدب ، وجربوا أن يعيشوا من نتاج أقلامهم بشكل مستقل ، ولم يكن الأمر سهلاً ، بل لقد عانى الأمرين حتى أصبح وجهاً لوجه أمام القارىء ، وكانت هذه الخطوة الاستقلالية والمواجهة التى وصل إليها بمثابة قفزة ، أو ومضة أضاءت الطريق أمام الأدب التركى ليشق طريقه نحو آفاق أرحب .

ويتابع (يشار) نشر رواياته وكتاباته الأسبوعية ، ويشارك فى تأسيس واصدار وتحرير عدة مجلات ذات اتجاهات تقدمية خلال عامى ٦٢ - ١٩٧٤م ، و يحمل على عاتقه بعض المسئوليات المؤثرة فى تأسيس حزب العمال التركى فيما بين عامى ٦٣ - ١٩٦٩م ، كما يختير رئيساً مؤسساً لصندوق كتاب تركيا ورابطة الكتاب فيما بين عامى ٩٠ - ١٩٩١م .

ويشير الكاتب إلى أول قصص (يشار كمال) القصيرة والمسماة " حكاية قذرة " التى كتبها أثناء تأديته الخدمة العسكرية ، وهى ضمن مجموعته الأولى " قيظ " التى صدرت عام ١٩٥٢م - ١٣٧٣هـ ، كما ظهرت أيضا قصته (الرضيع) المطولة بعض الشئ فى عام ١٩٥٣م - ١٣٧٣هـ ، الذى قدم فيها بنجاح ساحق قيمة الإنسان ، ومطالب الفلاحين المطحونين وآمالهم فى منطقة (جوقوروفا) ، وفى خلال عام ١٩٦٧م - ١٣٨٧هـ جمعت قصصه وحكاياته فى كتاب (الصفيحة ، قيظ ، وحكاية قذرة) وهى هذه المجموعة المترجمة .

ويصنف لنا الكاتب قصص (يشار كمال) وحكاياته إلى مجموعات رئيسية هى :

- قصص تتناول الظروف المعيشية القاسية للطبقة العاملة والمعرضين للجوع والحرمان والاستغلال والقسوة من الطبيعة والانسان والمجتمع مع الرغبة الصادقة فى حياة إنسانية أفضل وأجمل وسنرى ذلك فى (الرضيع) و (العنزة) و (القيظ) .
- قصص تتناول الرغبات والميول الانسانية العامة ، الرغبة الجامحة ، الشوق الجارف ، والخداع والولع الذى يسيطر على بعض من النفوس البشرية ، مثلما نرى فى (البعوض والطيور المهاجرة) ، (على قارعة الطريق) .
- مجموعة يغلب عليها طابع العلاقات الاجتماعية والرغبة فى الوجود والصمود ، حيث نجابه بنضال الفلاحين الفقراء من أجل الوجود المستقل ، ونجابه أيضاً بالقوة الاقتصادية للإقطاعيين والتجار المستغلين الذين يودون قهرهم وقمعهم ، بل مص الدماء التى تجرى فى عروقهم .

ويحدثنا الكاتب عن بداية النجاح الحقيقى ليشار كمال فى عام ١٩٥٥م - ١٣٧٥هـ بظهور قصته الطويلة أو روايته القصيرة (الصفيحة) وهى واحدة من أجمل أعماله ، التى أعيدت طباعتها مرات كثيرة ، وتم مسرحتها فى عدة مواسم مسرحية من قبل كبار المخرجين والممثلين ، والتى نجحت لوحاتها الحية والمقنعة والصادقة فى الكشف عن



بعض العمليات والتجاوزات الموجودة فى المجتمع التركي خاصة بعد الحرب العالمية الثانية.
وتتسم (الصفيحة) بتشكيلها البنائى وسياقها الديناميكى مع تجنبها التصوير المباشر والمشابه ، الذى ينتقل من حلقة إلى حلقة ، متتبعاً الصدام الأساسى بين الحاكم المحلى والملاك المستغلين من ناحية ، ونضال الفلاحين من ناحية أخرى ، بالإضافة إلى استخدام العنصرين ، الوثائقى والريبورتاجى دون أن يخل بالخصوصية الفنية للقصة .

قصة

الطيـــور المهـــاجرة

يشار كمال

تباشير الصباح تبدو من بعيد ، والأبخرة الرقيقة تعلو سطح الأرض . رويداً رويداً تتجه نحو السماء .

(جولبهار) حضرت إلى الحقل فيما قبل السحر . لم تستطع بعد التفرقة بين عيدان القطن والأعشاب الأخرى . ستشرق الشمس بعد قليل ، وهى تعلم كم ستكون قائظة محرقة ، وأنها ستتلظى تحت لهيبها ، وأن أنفاسها ستقطع ، والعرق سيغرقها ، وتراب الأرض يكويها . ولكنها تنتظر بزوغها بفارغ الصبر .

كانت تقف مستندة على فأسها مستغرقة فى التفكير . وفى الأفق البعيد ، وفوق قمم الجبال . بدت خيوط الضوء . تراءت كرات السحب البيضاء .

لقد مضى على سفر (محمود) تسع سنوات بالكمال والتمام . (محمود) كان رجلاً متناسقاً ، طويل القامة فارعها ، عريض المنكبين ، لامع العينين أسودهما ، غليظ الشفتين . كل الذين يعرفونه يؤكدون أنه لم يأت إليها من هو فى تناسق (محمود) . بل لم يأت إلى هذه الدنيا ، فهو نموذج ليوسف زليخة .

(محمود) لا يملك فى القرية سوى دونيمات خمسة . حقل بهذه المساحة لا يمكن أن يكفى أسرة حتى ولو كانت مجرد زوج وزوجته . بعد زواجهما بشهرين فقط لم يتحمل (محمود) قسوة الفقر ، فهاجر إلى بلاد الغربة سعياً وراء العمل .

وقبل سفره قال لجولبهار : عليك أن تزرعى وتحصدى الحقل وتتعيشى منه حتى أعود .

كان ذهابه هو هذا الذهاب ، لم تسمع منه صوتاً أو خبراً عنه . وانقطعت كل أخباره . .

(جولبهار) لم تمل الإنتظار .. قضت التسع سنوات وهى تنتظره ، كل يوم ، كل ساعة ، بل كل لحظة فى شوق وحنين .

يزداد إليه الشوق والحنين فى بعض الأحايين ، ويتأجج داخلها . خاصة أثناء مرور (الطيور المهاجرة) فوقها فى السماء ، ففى سماء هذا الوادى المنبسط تمر قوافل الطيور المهاجرة ، أحياناً فى أسراب متتالية . وأحياناً أخرى على موجات وأفواج ، تارةً فى حلقات ، وتارةً أخرى على شكل خط مستقيم ، وأخرى على شكل مثلث .. كأنها قد ألصقت فوق السحب البيضاء . نقط سوداء .

(جولبهار) امرأة جميلة شابة ، قد طلبها الكثير من شباب هذه القرية ، وقرى أخرى . ولكنها قالت : " محمود ، ولا أحد غير محمود " .

لم تغير تلك السنين فيها أى شئ ؛ فما زال نهداها مشرئبين ، وخصرها نحيل ، وإليتاها ملتفتان شهيتان .

كانت شفتاها المتوردتان ، وعيناها العسليتان تظهران أنها منذ الوهلة الأولى امرأة راغبة ومرغوبة . ولكن طوال هذه السنين التسع لم يلمس يدها آخر . لا يمكن القول إنها كانت عندما ترى رجلاً أنيقاً أو شاباً فتياً لم تكن تتحرك عواطفها أو كوامنها ، أو تتنازعها الرغبة ، وحتى ذلك لم يكن لتسامح نفسها عليه ، بل كانت توبخ نفسها ، وتعد ذلك خيانة لمحمود الذى أحبته هو فقط . كان الكثيرون فى القرية لا يملكون أنفسهم من التنهيدة عندما تقع أعينهم عليها .

فمنذ سفر (محمود) وهم لا يتركونها فى حال سبيلها ، بل ضايقوها بكل ما يخطر على البال من صنوف المضايقات ، حتى وصل الأمر أن حاول البعض الاعتداء على عرضها واغتصابها قهراً ، بعد أن تمكن من فتح بابها والولوج حتى فراشها . أما (جولبهار) التى كانت أقوى من أى رجل ، فقد أمسكت به وضربته ضرباً مبرحاً حتى الموت ، ربطت يديه ورجليه وألقت به أمام باب البيت ليكون عبرة لغيره .

الليالى جحيم بالنسبة لها ؛ ففى بعضها لم تكن لتذوق طعم النوم حتى الصباح ، جسدها ألسنة لهب تتحرق شوقاً للرجل . كل ليلة وهى فى فراشها ، وهى تعيش هذه اللحظات المحرقة ، كان (محمود) يتراءى لها .. يتراءى .. ثم يتلاشى .

فى القرية تدور الكثير من الروايات عن (محمود) ، كلها تتحدث عن عدم عودته

على الإطلاق ، معيشته فى المدينة . زواجه من فتاة تعيش فى القصور العالية ، وأنه أصبح صاحب مزرعة وسيارة وهناك شائعة أخرى تقول إن (محمود) كان يشتغل بواباً لدى صاحب مصنع كبير . وذات يوم ، بينما كان (محمود) يصطحب ابنته الوحيدة عند ذهابها وإيابها من المدرسة ، هامت به الفتاه حباً ، ما إن سمع الأب ذلك حتى سعد به كثيراً ، وقال لابنته : أحسنت صنعاً يا ابنتى ، فمن يدرى ؟ كم سيكون أحفادى من هذا الرجل الوسيم رائعين . زوجها على الفور ؟ بعد الزواج بمدة قصيرة توفى الأب صاحب المصنع ، لم يكن هناك غير ابنته لترثه . شائعة أخرى تحكى أن " كل دورموش " رآه ذات يوم فى المدينة وعرفه ، فكر أن يتقرب منه ليحادثه فجرى نحوه ، وقف أمام السيارة ، السيارة سوداء فخمة ، و(محمود) جالس فيها وقد ارتدى حلة زرقاء ورباط عنق أحمر . كان فى ملبسه ومظهره أكثر أناقة من القائمقام .

فوجه حديثه نحو " كل دورموش " متسائلاً :

– ماذا تريد ؟ قل : لماذا قطعت طريق هكذا ؟

فقال " دورموش " :

– ألم تعرفنى يا محمود ؟

نظر (محمود) إلى وجهه ملياً ومتفحصاً ، ثم قال لسائقه :

– هيا ... سر .. وانطلق بسيارته مبتعداً .

لو لم ينسحب " دورموش " قليلاً لدهمته السيارة وصرعته . لم تكن (جولبهار) تصدق أياً من هذه الروايات . إنه قد ذهب لكى يكسب ثروة تمكنه من شراء منزل ، وحقل يكفى لإعاشة أهل هذا المنزل . إنه لن يرتكب إثماً ، ولن يحل لنفسه ما حرمه الله . ولن ينظر لامرأة أخرى حتى ولو بطرف عينيه .

كانت دائماً تحاول أن تقنع نفسها بهذا ، لكنها لم تنجح فى ذلك قط .

ما إن أوشك النهار على البزوغ ، وقمم الجبال يلفها النور حتى شمل الضباب كل الوادى . غطى التربة الغاضبة وكأنه ستارة من التل الأبيض . غيطان القمح الأصفر ، حقول القطن الأخضر ، أقراص عباد الشمس الأحمر ، كانت كلها ، مع نسمات الصباح ، تتمايل وتنحنى ثم تعاود النهوض والارتفاع كأنها أمواج متهادية .

(جولبهار) تنتظر بزوغ الشمس من ناحية ، ومن ناحية أخرى تهاب هذه الشمس البازغة . تملكتها الشهوة من قمة رأسها حتى أخمص قدميها . فى هذه اللحظات ، لو صادفها أى رجل ، لو أمسك بيدها ، وقادها حيث يشاء لسارت خلفه منقادة مستسلمة ، ولكنها تشكر الله كثيراً لأنها لم تصادف أى رجل خلال هذه اللحظات العصيبة .

سقطت الفأس من يدها . التربة طرية ساخنة ، فتحت (جولبهار) أزرار صدرها .

أخرجت نهديها . تمددت على الأرض ووجهها إلى أسفل . بدأت تزحف على التربة الساخنة وهى تتأوه كلما لامست الأعشاب الحادة ثدييها أو حتى مزقتهما الأشواك الدقيقة الطرية . كانت تزداد تهيجاً وتمرغاً فى التراب دون أن تمسح ثدييها الداميتين . كانت تزحف هكذا حتى تصل إلى الطريق الترابى . تتلوى ، ثم تعود متلوية متأوهة .

النهار قد طلع . (محمود) قادم ، وقد ارتدى بدلة زرقاء ورباط عنق أحمر تفوق حمرته قرص الشمس أو وهج اللهب ، وحذاء أحمر لامعاً . شفتاه ورديتان . (محمود) قادم .. فرحة .. بهجة .. صيحات الفرح تدوى فى الوادى .. (محمود) قادم . الآن سينزلان إلى الربع . تلاقيا ، احتضنا ، صار الجسدان بدناً واحداً . كانا يشتعلان كاللهب . غرقا فى الشهد والعرق .

(محمود) حسن الهندام ، يفوق أبناء المدينة . حتى إنك لا تجرؤ على لمسه بيديك . تسمر " دورموش " فى مكانه مبهوراً ، فقميص (محمود) ناصع البياض ويداه كذلك . واضح أن يديه منذ ذهابه وحتى إيابه لم تعرف الشقاء . واضح جداً من طراوة وجهه ولمعانه .

كان " دورموش " يبتسم أمامه . شفتاه ، كم هما جميلتان . وعيناه ، كم هما سوداوان . ظلا واقفين وجهاً لوجه لفترة ما . فى يد (محمود) صرة ، سقطت الصرة من يده على الأرض ، واضح أنها ممتلئة . وأن بها أشياء كثيرة .

حال (محمود) ، كل تصرفاته تطلب الصفح والغفران . يتلعثم : الأمر .. كذا .. الموضوع .. هكذا .. لم تنقذه كل الحيل . لم يجد فى نفسه متسعاً للف والدوران . أخيراً قال : ها أنذا قد عدت إليك . لم تكن (جولبهار) قد سمعت أى شئ مما قاله . إن كل لحمها وشحمها يتلظى من الهيام ، فزوجها وعشقها ورغبتها التى انتظرتها وتحملتها لتسع سنوات ها هو أمامها ، ينتظرها . لن يستطيع أى بشر أن يراهما هنا بين شجيرات الطرفاء .

مد (محمود) يديه نحوها .. على وشك الإمساك بها . ولكن (جولبهار) ردته ، سحبت يدها ، ترتعد وكأنها لامست قضيباً من الحديد الملتهب .

تحولت (جولبهار) فجأة إلى نمرة مفترسة على وشك أن تهجم على (محمود) لتمزقه ، تود أن تفقأ عينيه وتشوه وجهه ولكنها تمالكت نفسها فى آخر لحظة : " لا يستحـــق " .

كررتها فى نفسها " لا يستحـــق " .

وما هي إلا لحظة حتى انتصبت قامتها ، وبصوت كله عزة وكبرياء ، وكأن شيئاً لم يكن . قالت :

– هيا .. هيا أيها الكلب .. هيا .. ابتعد .. هيييا . (محمود) يرجو .. يتوسل . يستعطف .. يرجو .. يركع .. يتحدث .. هو لا يدرى ماذا يقول أو ماذا يفعل . أما هى فلا شئ غير :

– هيا .. هيا أيها الكلب .. هيا .. أغرب .. كلب .. هيا . (محمود) يقاوم ، يعاود . أخيراً أدرك أنه لا فائدة ولا حيلة فعاد أدراجه . ابتعد . (جولبهار) تنظر فتجد أن بدلته الزرقاء وجوربه الأبيض وقميصه الناصع البياض وحذاءه الأحمر اللميع وشعره المسترسل البراق ، كلها قد تمرغت فى التراب وغطاها الغبار . تألمت لعودته الكسيرة هذه . بالرغم من هذا ، فما إن رأت الصرة التى تركها على الأرض ، حتى تناولتها وقذفت بها خلفه .

– أغرب .. ابعد أيها الكلب .. هيا .. هـ ....

أما (محمود) الذى أحنى رأسه أمامه فقد ظل يبتعد . يذهب حتى دون أن ينظر خلفه .

الضياء يلف المكان . عباد الشمس ، غيطان القمح ، حقول القطن ، المستنقع ، الغابة الصغيرة ، شطآن نهر جيحون الممتدة كشريط أخضر ، هذه كلها قد استسلمت لأشعة الشمس ، وكلما لفحتها الشمس يشتد القيظ . صعدت (جولبهار) فوق كومة مجاورة وتعقبته بناظريها حتى غاب تماماً وامتزجت ظلاله وخياله بغبار الطريق المتطاير . ظلت تنظر خلفه حتى امتلأت عيناها بالدموع . فنزلت ، وأخذت فى عزق أرض القطن وخف عيدانه المكتظة ، ما إن تجد شربة خشنة قريبة من جذور عيدان القطن حتى تسحقها وتجعلها ناعمة كالدقيق . يداها تعملان بسرعة كالماكينة . تسلطت الشمس الحارقة فوق قمة رأسها . مخها يغلى ، كل وجودها مختلط بالغبار والرماد . لحمها وشحمها يغلى . وخلال هذا الكد والجهد الزائد نسيت (محمود) . بل نسيت نفسها .

بينما كانت تتناول طعام الغداء بدأت تعود لنفسها .. تبتسم . تنهدت وهى تخاطب نفسها .

" آه – لو جاء محمود . ليته يعود وليكن ما يكون ، ليعد مهما فعل . أليس رجلى ؟ فليعد ، ولأحتضنه . ليعد حتى بزوجته الأخرى وأطفالها الخمسة " استولى عليها حزن عميق عندما تذكرت ما فعلته مع محمود ، فوضعت كل همها فى طعامها الذى التهمته بسرعة . عادت إلى عملها تراب الأرض الذى تحول إلى حديد ساخن يكوى قدميها . مهما حاولت السيطرة على نفسها ، فلقد كانت دموعها تتساقط رقيقة ، رقيقة ومتوالية .

الآن يمر سرب من الطيور المهاجرة وقد التصقت بالسحب البيضاء . فى لحظات

تكون ظلال الغيوم .. فى لحظات آخرى ظلال الطيور العابرة هى التى تنتشر فوق الأرض المنبسطة .

كالعادة ، خيوط الفجر تكاد تبدو ، (جولبهار) فى يدها فأسها قد انتصبت وسط حقلها . تنتظر انبثاق الضوء لكى تعزق قطنها .

فجأة تسقط الفأس من يدها . التربة طرية لينة ساخنة . التربة صامتة.لا تصدر صوتاً .

إن جسد (جولبهار) يلتهب ، بدنها يحترق . لو أتاها صبى وأمسك بيدها ودعاها حيث تلك الأكمات لما قاومت ، لذهبت . إن الشهوة تتفجر من كل ذرة من ذرات جسدها . بدنها يشوى ، ورائحة اللحم المشوى تزكم أنفها .

إنها تزحف وقد فتحت نهديها . كلما غاصت بهما الأغصان أو أدمتهما الأشواك . وكلما أدميت ، فإن كل جسدها ، لحمها ، عظمها ، جلدها ، وجدائل شعرها ، كل كيانها يتمطى بوله كبير مجنون .

ينقشع الظلام عن قمم الجبال . وبينما الأبخرة تتصاعد من سطح الأرض متهادية . ماذا ترى ؟ إن (محمود) قادم وسط الضباب . لا تستطيع أن تخمن ماذا تفعل من فرط الفرحة ، تدوخ ، تلف وتدور حول نفسها . تستكين ، تهدأ ، ثم تنطلق جارية نحو (محمود) . (محمود) فى قمة أناقته : قميص ناصع البياض ، جوارب من الحرير الخالص . منديل موضوع فى جيب الجاكت ، حذاؤه أحمر لامع . عيناه كالوميض . رموشه طويلة ، وجهه لم يتغير ، أسمر محروق . يبتسم بطلاوة . لطيف إلى حد كبير ، يضحك . يقول شيئاً ما . فى يده حقيبة كبيرة . يخرج من الحقيبة فساتين حريرية بلا عدد ، متنوعة الألوان . أنواع مختلفة من الروائح ، أحذية ، مرايات ، أقراط ، أساور وجردانات . ملابس أطفال . كل هذه على طراز المدينة يتلألأ على تراب الأرض السوداء .

- هيا .. هيا يا كلب هيا .. هيييا .

يرتعد (محمود) ويخاف . إن هذا الصوت يروعه ويفزعه لدرجة أنه يهرب دون أن ينظر خلفه . ومرة أخرى تصعد (جولبهار) على الكومة المرتفعة . وتتابعه حتى يغيب عن عينيها ، مختفياً بين الغبار المتصاعد .

وبمجرد أن يغيب (محمود) تعود إلى الندم : " ليعد " سأقبل قدميه . لن أجعل يديه تمسان أى شئ . ليسترح هو ، وأعمل أنا .

ستبزغ الشمس ، سيعم الضياء حتى يشمل شجرة الحور الضخمة .

تسقط الفأس التى فى يدها .

ثدياها الورديان فوق التراب الساخن .

رفعت رأسها . ماذا ترى ؟ (محمود) قد امتطى صهوة جواد مطهم أصيل . كم كان (محمود) أنيقاً ووسيماً . فى قدميه الحذاء اللميع ، وشاربه مبروم كأنه من فرسان الملاحم . تمد يديها ، (محمود) فوق صهوة الجواد ، ستأخذه إلى أحضانها فترى اللجام وحزام السرج مطعمة بالفضة ، أما السرج فمشغول ، ما إن تسقط أشعة الشمس عليهم جميعاً حتى تلفهم الأشعة الذهبية . فيمد (مخمود) يديه . تتجمد (جولبهار) فى مكانها ، يترجل (مخمود) . يريد أن يحتضنها ، ويقبلها ، ترتعد ، تنتفض .

- هيا .. هيا أيها الكلاب .. هييبا .

يمتطى (محمود) صهوة جواده . ليسوقه ، ينطلق الفرس كالريح وسط الحقول . وفوق زهور عباد الشمس حتى يغيب عن العيون .

تنظر (جولبهار) إلى نفسها فى المرآه . كم هى جميلة أجمل مما كانت عليه عند زواجها . من يدرى كم كان عمرها عندما زوجوها منه .

لقد أتقنت فلاحة حقلها هذه السنة ، مما يجعلها متأكدة أن حقلها سيعطى خمسة أمثال الأراضى الأخرى . فعيدان القطن النامية وأزهاره ولوزاته تبشر بالخير . ما إن يراها أى إنسان حتى يتملكه العجب والدهشة .

تحقق ما كانت تأمله ؛ فلقد تفتح القطن كله لدرجة أنك لا ترى فى الحقل سوى القطن الأبيض فقط . لا خضرة ولا ورقة .

الآن أيضاً ، ستجمع (جولبهار) قطن حقلها وحدها . وصلت إلى الحقل مع خيوط الفجر ، بل قبلها . لم تنم ليلتها ، فلقد استعرت فى فراشها . قضت الليل كله وهى تتقلب فى فراشها محترقة ومتحرقة شوقاً .

وهى تجمع القطن تسمع صوت سيارة . فترفع رأسها . السيارة قادمة ، تقترب منها حتى تقف بجوارها . كانت سيارة سوداء ، فخمة ، قد غطاها الرماد والغبار . ينزل (محمود) من السيارة . لم تستطع (جولبهار) أن ترفع رأسها وتنظر إلى (محمود) .

التربة حارقة ، لا تستطيع (جولبهار) الحافية القدمين أن تصمد دقيقة واحدة فوق التراب الساخن ، فكانت تغير مكانها باستمرار .

(محمود) يمد يديه إليها . يقدم إليها شتى كلمات الاعتذار ، ولكنها لا تسمعه . (جولبهار) لا تسحب يديها .

تحت أكمات الطرفاء بضع أعشاش للطيور . الآن قد أفرخت تلك الطيور . أفواه الأفراخ الصغيرة صفراء من حين لآخر تفتح أفواهها فتبدو كبيرة ضخمة .

بعض الأشياء تربط عنق وحلق (جولبهار) وتخنقها فلا تخرج .

- هيا .. هيا يا كلب هيد

فتنظر إلى يديها إنها ذات بثور ونتوء ، مقشفة . تشبه غصن شجرة ذابل . تسع سنوات وهى تعمل فى كل شئ فى البرد القارص . الأرض ، الصخر ، العزق ، الحصد . فهل يبقى فيها خير . حتى قدماها المتسختان قد تشققتا . يغلفهما الوسخ الأسود ، جلدها لا يرى من الوسخ . أظافرها الطويلة ممتلئة بالأوحال .

– هيا .. هيا أيها الكلب ... هيا ..

لا يسمعها أحد ، يسحبها (محمود) إلى السيارة ، داخل السيارة وثير طرى لين ، منعش أيضاً .

تدور السيارة فجأة بضوضاء تصم الآذان وتنطلق . تحس (جولبهار) أن حقلها وقطنها الأبيض قد ابتعد كثيراً .

(محمود) :

– ليبق .. لا يهمك .. ثم يتابع حديثه قائلاً :

– لدينا قطن كثير .

يضحك : وهل هذه الكمية من القطن تعد قطناً .

تصرخ (جولبهار) بكل قوتها :

– هيا ... هيا يا كلب .. هيييا . لقد ضيعت تسع سنين من الكد والعمل فى هذا الحقل . هيا .. هيا أيها الكلب هيا .

تفتح باب السيارة وتلقى بنفسها خارجها ، تزحف على التراب . ثدياها متورمان داميان . تسيل منهما الدماء يغطيهما الغبار المندفع من السيارة المنطلقة . تغرق فى الغبار ، تكاد تختنق . تظل زاحفة حتى تصل إلى حقلها . وما إن تصل حتى تستنشق رحيقه بعشق وهيام وتوله .

تنهض واقفة . تتمطى فاردة خصرها الذى انثنى .

تنحنى من جديد متخطفة لوزات القطن الأبيض المتفتحة .

فى البداية يمر سرب من الطيور المهاجرة ، تمتد ظلاله فوق القطن الأبيض ، ثم تتلوه ظلال غمامة بيضاء صغيرة .

(جولبهـــار) تشـــــعر بعطــــــش مدهـــــش .

شعر

الدور على الغرباء

يزيد الديراوى
(فلسطين)

فى الغرفة مروحة تقطف أبخرة عن جسدى،
صور للذكرى،
أوراق فارغة تعبث بهواء رطب،
ودخان يرقص كالشعر
ويلهو فى الضوء، يؤسس كونا مختلفا.
تعب هش يضبط خطته ليموت.
قميص تركته ليكسر أنفاس قصيدتنا..

«من أنت لتخلقنى؟» قالت،
قلت: «أنا أنت ولكنى
أعرف كيف أخادع تلقى المتكدس كالنور

وكيف أرتب أنفاسا من نارنج،
وأفتح نافذة فى الأفق
ونافذة فى القلب لأعرف كيف يحاسبنى الله..
ولست إلهاً صوفياً كى أسكن هذا القلب وأصعد نورا مع روحك حين تريدين».

فى الغرفة، تساقط منى الكلمات لتردف قافية حمراء، وساكنة كغروب الشمس، بلا تأويل أو حتى نقد أهبل. قافية تغمض عينى لتبدأ.. قافية تخضر لتورق أزهارا وخيوطا تحملني..
قافية من وجع شرقي: كيف يليق بنا أن نصبح إلفين بلا عرس يبعدنا، أو حتى تدبير فوقى يعدل عن قول:«الحلكة نور..»
الحلكة نور، مثلك، ينتظر، فكن أنت ولا تخش..
وكسر كل أصابعك الحمقي، كى تخرج منك إليك، يضيق الليل هناك، ويتسع النور، فتصبح أنت قصيدتك وأنت قصيدتها.

نافذة تكتب قصة مجنون لا يحمل ليلاه على كفيه ويرقص..
لا ورد على شفتيه ولا ورد هناك يهندس، كالنملة، أرصفة للرؤيا. لا شيء هناك سوي لا شيء ولا شيء ومجنون..
من أين يجئ الناس وفى أعينهم مدن تدمن تبديل السكان،
وأرصفة حمراء كليل أندلسى يبكي.
من أين يجئ الناس فرادى مكسورين، يجرون كحال الصوفي، من الأرض إلى الأرض،
خريفا صيفيا..
ويمر النهر على أعينهم مرتبكا كنبى يحمل قلبا أندلسى الحزن ويهمس للضوء.
لماذا تحمل فجرا، فى عينيك،
يودعنا

ولماذا تهرب حين نناديك؟
تقول: غدا،
سيجئ الدور على الغرباء
أقول: غدا،
سيجئ الدور على الشهداء.

فى الغرفة يذبحنى الصمت
وتنسيق الشعر على هيئة قبعة يحملها الريح شمالا...
وجنوبا حيث النيل يحك الأرض ويومئ للسحب:
«ترافقنى يا قدرى..
وأرى فى أول دربى آخره، وأرى آخر دربى من أوله..»
(والقدر حليف نهايتنا)

فى الغرفة لهجة بدوى:
«يا ربي،
يا رب المكسورين أغثنا، واخفض لى ليلا من نور يبصرنا».

فى الغرفة أعشق ما تكتبه الجدران على وجهى،
رائحة الموت تئز - كما النحلة - حين تمر على ضلفة شباكى المكسور،
هشاشة تعب يضبط خطته
لأموت.

قصة

وردة صفراء

مازن نبيل - ١٤ سنة

كان الميدان مزدحماً، والسير صعباً فى ذلك الوقت، ولكن على سامى أن يسرع قبل فوات الأوان، أخذ يجرى ويجري، ويصطدم بهذا وذاك، ويمر بين الزحام مسرعاً، حتى قفز فى سيارة أجرة أخيراً، واستطاع السائق أن يخرج بسيارته من الزحام ومرت دهور حتى تحولت الإشارة إلى الأخضر، فإذا بالسيارة تتعطل ، فزفر سامى: (هو ده وقته) فترك التاكسى وسار على قدميه مسرعاً فكان أن صدمته سيارة قادمة، وغاب عن الوعي. جاءت سيارة الإسعاف ونقل سامى إلى المستشفى فإذا به يفيق على فستان أسود تقف فيه أخته والدموع فى عينيها.

– خلاص؟

– (فى همس) أيوا .. خلاص!

كان نفسى أشوفها!

كان يعلم أن أمه تصارع مرضاً لعيناً.السرطان. وكان كل حلمه أن يراها لمرة أخيرة.لذلك قطع عمله فى روسيا واستقل أول طائرة لمصر ولكن يدخل الطبيب ويهمس فى أذن شقيقة سامى منزوياً وراء الباب. تدخل الغرفة فيسارع بسؤالها:

– هو الدكتور قالك إيه؟

تصمت، وتضع برفق وردة صفراء فوق غطائه ثم تتركه. استطاع سامى أن يحرر يده المشدودة برباط إلى سريريه المعدنى ويمرر يده ليلتقط الوردة فتصطدم أصابعه بساقه التى لم تعد هناك.

قصة

الممر

خالد أشرف عامر

تطلعت حولى كثيرا ولم أر أحداً، وما هذا الظلام الذى يلفنى أين أنا كل ما أتذكره أنني كنت .. لا أذكر أشعر وكأن هذا هو اليوم الأول لى فى الدنيا منذ خلقها الله، عجباً من وضعنى فى هذا المكان الضيق ولماذا لا أستطيع التحرك؟ هل أنا مقيد لا أعتقد هل خطفنى أحدهم؟ لا أذكر كل ما أحس به هو أننى أريد الخروج من هذا المكان منذ متى وأنا هنا وإلى متى سأظل.. ما هذا أنى أسمع أصواتاً نعم أنها بالفعل أصوات وأشعر بحركة كأنها مثل صوت امرأة تصرخ لماذا تصرخ، هل تحتاج إلى مساعدة ، ليتنى أستطيع التحرك كنت ساعدتها.. ما هذا هناك من يجذبنى إلى أين تأخذنى يا هذا؟ إنه يجذبنى عبر ممر ضيق للغاية كل ما أشعر به هو أننى أختنق وأن صراخ السيدة بدأ يقترب، ما هذا لقد بدأ نور فى الظهور وبعض الهواء يلفح وجهى والممر الضيق اقترب من أن ينتهى وصراخ السيدة يتعالي، وأخيراً صمتت السيدة وانتهى الممر ورأيت النور ولكن هناك من يحملنى من هو ومن هذه المرأة التى تجلس على السرير، ما هذا لماذا يضربنى هذا الرجل؟ ماذا فعلت له كى يضربني، لم أقو على تحريك ذراعى للرد عليه فانطلقت فى البكاء لإحساسى بالظلم وهو يضربنى دون جواب مني، وأنه يقول شيئاً فلأستمع إليه «مبروك يا مدام ولد زى القمر» .. «الحمد لله.. الحمد لله» .. ما معنى هذا الذى يقال .. لا أدرى ولكنى أريد العودة حيث كنت قبل ذلك.

إشارات

نبيل الهلالى

لست أذكر أننى التقيت به سوى مرة واحدة وذلك عندما ذهبت إليه فى مكتبه فى أواخر سنة ١٩٧١ لاستعين بنبوغه القانونى المعروف عنه على ما أصابنى من ظلم على يد وزير الإعلام فى ذلك الوقت الدكتور عبد القادر حاتم، فقد وجدت نفسى مطرودا من عملى كرئيس لتحرير مجلة «الإذاعة والتلفزيون» وممنوعا من العودة إلى عملى السابق فى مؤسسة دار الهلال الصحفية، وبذلك وجدت نفسى فى الشارع، بلا عمل ولا أمل،ولا أذكر الآن تفاصيل ما حدث فى لقائى مع نبيل الهلالى فيما يتصل بوضعى القانوني، ولعله يكون قد أفهمنى بوضوح أننا لم نكن فى عصر يقيم للقانون وزناً، وأن جهدنا سوف يذهب عبثا، فقد كان القانون غائبا تماما فى تلك الفترة، ولذلك فقد شهد هذا العام عشرات من الصحفيين وأهل الفكر والأدب والرأى وهم يفقدون أعمالهم وبعضهم يدخل السجون، والبعض الآخر يهرب إلى منفى خارج مصر والبعض الثالث من أمثالى لم يكن أمامه سوى مصر وملجأ وحيد هو الشارع.

ورغم مرور حوالى أربعين سنة على هذا اللقاء الوحيد بين نبيل الهلالى وبينى فمازلت أذكر وجهه العامر بالصفاء والرجولة والشهامة وصدق التعبير والتفكير وكأن هذا اللقاء قد تم بالأمس فقط وليس منذ أربعة عشر ألف يوم على الأقل.

لم أكن بحاجة إلى أى لقاء مباشر مع نبيل الهلالى بعد ذلك لكى تكون صورته واضحة فى عقلى وقلبى، فقد كنت أسمع اسمه محاطا بالحب والإعجاب من الكثيرين، وخاصة من جيش المظلومين وهو من أكبر الجيوش التى عرفتها مصر فى تاريخها كله فما من مظلوم رأيته إلا وكان على لسانه أغنية عذبة اسمها نبيل الهلالى، ولعلنى لا أبالغ إذا قلت إنه ما من يوم مر دون أن أسمع فيه اسم نبيل الهلالى من فم مظلوم نال عنه، أو مظلوم لديه الأمل فى دفع الظلم عن نفسه.

ما هو سر نبيل الهلالى الذى فقدناه منذ أسابيع قليلة؟

إنه إيمانه الصادق المخلص بالإنسان، وقد أعطانا نبيل الهلالى فى بعض كلماته مفتاحا لهذا السر وذلك عندما شارك فى الدفاع عن الإخوان المسلمين والجماعات الدينية الآخرى رغم ما فى هذا الموقف من تناقض ظاهر بين ما يمثله نبيل الهلالى اليسارى لحما ودما وبين هذه الجماعات الدينية.وهنا يقول نبيل الهلالى فى كلمات هى منارات للضمير الحر عند أى إنسان فى مجال الدفاع عن حقوق الإنسان:

«المعيار الأوحد الذى يحدد من هو الإنسان هو إنسانيته وليس دينه ولا لونه السياسى ولا أفكاره.وقد تولدت هذه القناعة عندى من دروس الحياة التى تؤكد أن التغاضى أو السكوت عن أدنى انتهاك لحريات الآخرين حتى لو كانوا منافسين سياسيين، أو حتى خصوما وأعداء.. مثل هذا التغاضى لابد أن يرتد إلى صدر المتغاضى لأنه يسهل إرساء قاعدة سرعان ما تعم على الجميع بما فيها من شر مستطير»

كلام نبيل من نبيل الهلالى الذى يذكره خصومه قبل انصاره بالحب والتقدير والوفاء لذكراه الطيبة.

رجاء النقاش



الأمل للطباعة والنشر   رقم الإيداع ٧٥١٢ / ٩٢   «الثمن: ٣ جنيهات»